

القافلة
شوال ١٤١٤هـ - مارس - ابريل ١٩٩٤م
عودة العقاب الأصلع !!



The Caravan

العدد العاشر - المجلد الثاني والأربعون

March – April 1994 ISSN 1319 - 0547ردمـــد شوال ١٤١٤ هـ

في هذا العدد :

المدير العام
فيصل محمد البسام

المدير المسؤول
محمد عبد الحميد طحلاوي

رئيس التحرير
عبد الله خالد الخالد

● جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

● كل ما ينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.

● لا يجوز نشر الموضوعات والصور التي تظهر في القافلة إلا بإذن خطي من هيئة التحرير.

● لا تقبل القافلة إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها.

العنوان :
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٨٧٥٦٣٩٢ - ٨٧٤٠٧٠٦
فاكس : ٨٧٣٨٤٩٠

الغلاف



تصوير : PHOTO TAKE

مجلة ثقافية تصدر شهرياً عن إدارة العلاقات العامة في شركة ارامكو السعودية لموظفيها ـ توزع مجاناً

تصميم وطباعة مطابع التريكي - الدمام
Designed and Printed by Altraiki Printing Press, Dammam

عيد مبارك

إنه لمن دواعي غبطتي وسروري أن أنتهز فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لإخواني موظفي الشركة أحر التهاني وأسمى الأماني بهذه المناسبة الكريمة أعادها الله على الجميع بالخير واليمن والبركات.

علي إبراهيم النعيمي
رئيس الشركة وكبير الإداريين التنفيذيين

كل عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون هذه الأيام عيد الفطر المبارك بالبهجة والسرور. ويسر هيئة التحرير أن تغتنم هذه المناسبة الكريمة لترفع إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وإلى القراء الكرام وإلى المسلمين كافة أخلص التهاني وأطيب التمنيات ضارعة إلى العلي القدير أن يعيده عليهم باليمن والبركات، رافلين في أثواب السعادة والرخاء.

هيئة التحرير

أمن شبكات الحواسيب الشخصية المحلية

بقلم الأستاذ: عبدالله علي التعزي - جدة

تعد معالجة المعلومات بالنسبة لمعظم المؤسسات والشركات التي تستخدم الحاسوب في أعمالها، محور ارتكاز رئيس لها، وبعض المؤسسات الكبرى تعتمد على الحاسوب في اغلب أنشطتها، كالبنوك بشكل عام. وفي الوقت الحالي تعاني بعض الشركات عندفقدها لنظم المعلومات من خسارة كبيرة قد تؤدي الى إفلاسها نهائيا.

وقد ذكرت النتائج التي توصلت اليها احدى الشركات الاستشارية «برايس واتر هاوس» انه اذا فقدت بعض الشركات نظام المعلومات لديها لمدة تزيد عن ثلاثة ايام متتالية، فان نسبة احتمال افلاسها تصل الى ٦٠٪، بمعنى أنه كلما زادت مدة فقدان ذلك النظام المعلوماتي زادت الخسائر المترتبة على ذلك، واذا استمر فقدان الشركة لنظم المعلوماتي الخاص بها لمدة شهر فان نسبة خروجها من السوق وافلاسها تقفز الى ٩٠٪.

يتضح من ذلك أن امن المعلومات عبارة عن موضوع يهم قطاع رجال الاعمال[1] لكي يواصلوا نشاطاتهم الاقتصادية بدون اية عقبات وبشكل يضمن سرية المعلومات وتوفرها في الوقت المناسب.

ومنذ بداية انتاج الحاسوب الشخصي في اواخر السبعينيات واوائل الثمانينيات لم يكن يشكل امن المعلومات اهمية كبيرة فقد كانت امكانات الجهاز تلك الايام محدودة بشكل عام، ولم تكن الاجهزة منتشرة بالشكل التجاري الذي نشهده اليوم، حيث بلغ ما انتج من اجهزة الحاسوب الشخصي حتى نهاية عام ١٩٩١م اكثر من خمسة وثمانين مليون جهاز وهذالرقم في ازدياد مستمر.

ومع الزيادة الكبيرة في عدد الحواسيب الشخصية بدا من الطبيعي ان يبدأ التفكير في ايجاد وسيلة يمكنها ان تصل بين هذه الاجهزة. لقد كان الغرض في البداية من ربط هذه الاجهزة ببعضها هو الاشتراك في استخدام بعض الطرفيات الغالية



ارامكو السعودية

الثمن كطابعات الليزر Laser Printer واجهزة الرسم Plotter واسطوانات التخزين الصلبة Hard Disks، ولكن الامر اخذ اتجاها آخر بعد ذلك حيث ظهرت عدة انظمة تشغيل للشبكات المحلية ذات قدرات عالية في ادارة الشبكة، واصبحت المتطلبات الاساسية من الشبكة التي بدىء بها متطلبات ثانوية مفروغ من وجودها في اي نظام تشغيل شبكات صغيرا كان أو كبيرا. وقد ظهرت فيما بعد عدة وظائف جديدة للشبكات كاستخدام البريد الالكتروني E-Mail، والاشتراك في استخدام اجهزة النسخ الالى Fax عن طريق الشبكة، واستخدام اجهزة الحاسبات الشخصية للدخول في انظمة الحواسيب الكبيرة من خلال برنامج محاكي الطرفيات Terminal Emulation الى آخر ذلك من اختيارات ومميزات جديدة.

وشبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN تعد في الاونة الاخيرة من اسرع الشبكات انتشارا في العالم نظرا لسهولتها وتعدد انواعها، وأمن هذا النوع من الشبكات LAN Security يعد في المراحل الاولية خصوصا عند مقارنته بأمن مراكز الحواسيب الكبيرة والشبكات الخاصة بها. ومع زيادة الاهتمام بشبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN اصبحت المخاطر المتعلقة بأمنها تشكل بشكل شبه مباشر مخاطر لأي شركة تستعملها وعلى مستوى إدارة الشركة العليا وليس مجرد مخاطر امنية او نتائج مراقبة عادية للنظام Audit، ومع تزايد استخدام شبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN ضغط مستخدمو هذه الشبكات على منتجي انظمة تشغيل شبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN Operating Systems لتحسين النظم الامنية والتحكمية داخل انظمتهم التي يقومون بتطويرها، ومع ذلك ما زال الطريق طويلاً حتى يتم تلبية هذه الاحتياجات بالكامل.

وبصفة عامة فان امن شبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN Security لاتختلف طبيعته عن اي نوع من انواع امن الحواسيب وهذا يجعل من المستويات التي تخضع للنظم الامنية مختلفة بصورة كبيرة بين انواع شبكات الحواسيب الشخصية المحلية. وفي بعض الاحيان يكون هذا الاختلاف داخل نوع واحد من الشبكات.

وأهم جوانب هذه المسألة هو اجراءات المستويات الامنية التي يتوجب ان تكون عملية، لأن شبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN هي اساسا عبارة عن حواسيب شخصية متّصله بعضها مع بعض PC-Based ومستخدمو الحواسيب الشخصية ومستخدموا الشبكات LAN Users تقريبا في نفس المستوى والمعرفة بامكانات الجهاز والبرامج التي من الممكن ان تبطىء عمل الجهاز او عمل الاجهزة الناقلة للمعلومات في الشبكة Interface Card او الخطوات Security Procedures التي من الممكن ان تعيق سرعة انجاز اي عمل على الجهاز الخاص به. لذلك فان اية اجراءات امنية توضع على الجهاز او الشبكة او على المستخدم ستقابل بالرفض الشديد، وقد يصبح الحال اسوأ حين يتقبل المستخدم الاجراءات في البداية ثم يقوم بتفادي استخدامها قدر الامكان بعد ذلك.

وتكمن مشكلة امن المعلومات بالنسبة لشبكات الحواسيب


ارامكو السعودية

الشخصية في عدم إمكان تطبيق معظم طرق امن المعلومات المعروفة سابقا. فقد كانت المركزية في معالجة المعلومات Central Processing تتيح وتسهل الكثيرمن اعمال المسؤول عن امن المعلومات فعمل النسخ الاحتياطية يقوم به مشغلي الحاسوب كجزء من عملهم اليومي، ووجود عدة برامج امنية جاهزة على الحاسوب يعطي عدة خيارات للمستخدم، الى آخر هذه الميزات التي تفتقر اليها شبكات الحواسيب الشخصية المحلية LAN في الوقت الحالي.

وبالرغم من ان الحاسوب الشخصي يوفر للمستخدمين احسن طريقة في توزيع معالجة البيانات Distriputed Data Processing، فإنه في نفس الوقت يشكل تحدياً فريدا لمسؤول امن المعلومات، حيث ان المركزية في معالجة المعلومات مهيأة لكي تضاف اليها بكل سهولة ادوات امن المعلومات، كذلك فان طبيعة شبكات الحواسيب الشخصية المحلية تصعب استخدام ادوات امن المعلومات بالطريقة التي صممت من اجلها. ومما يزيد الامر سوءا ان هذه الصعوبة الطبيعية تنطبق على البرامج التطبيقية الموجودة على الشبكة ونظام تشغيل الشبكة في نفس الوقت.

ويبقى السؤال هل شبكة الحواسيب الشخصية المحلية LAN آمنة؟

من الامور المهمة والمطلوبة من مدير الشبكة حماية معلومات الشركة من الأخطاء غير المقصودة والمقصودة وايضا حماية الشبكة من السرقات التي يحتمل وقوعها ولكي يتم هذا بشكل قوي وفعال يجب فهم البيئة العملية المحيطة بشكل كامل ليتم من خلالها تحديد المستويات الامنية المطلوبة. وبالامكان اخذ النقاط التالية في الاعتبار عند مناقشة الاحتياجات والمستويات الامنية المطلوبة لأى شبكة حواسيب شخصية محلية LAN:

اساس أمن شبكة الحواسيب الشخصية المحلية :

قبل البدء في محاولة معرفة الاشخاص الذين يحاولون الدخول إلى شبكة الحواسيب الشخصية المحلية LAN، ومعرفة المستخدم الذي يقوم بادخال الفيروسات في الشبكة يجب ان يتم النظر في نظام تشغيل الشبكة وما يوفره من وسائل وامكانات وتحكمات امنية يمكن الاستفادة منها مباشرة. هذه الامكانات تعطي على الاقل شيء من الامن للشبكة ومهما كانت بسيطة فانها احسن من ترك الشبكة بدون اية سيطرة.

هنالك بعض الموضوعات الامنية المهمة والبسيطة في نفس الوقت مثل:

– التأكد من أن جميع المستخدمين لديهم رموز سرية Passwords.

– التأكيد من ان جميع المستخدمين لايشتركون في هذه الرموز السرية، حتى ولو بشكل مؤقت.

الإتصال عن طريق خطوط الهاتف:

السماح للمستخدمين بالدخول الى شبكة الحواسيب الشخصية المحلية عن طريق خطوط الهاتف بكل بساطة يمدد النظم الامنية المعمول بها داخل الشبكة الى المستخدمين خارجها فاذا كان النظام الامني المحلي قوي فانه ينعكس على المستخدمين من الخارج والعكس صحيح. وقد تبين ان معظم الفيروسات تنتشر عن طريق البرامج التي تؤخذ عن طريق النقل بواسطة الهاتف، لذا فان الاجراءات الامنية المحلية ضد دخول الفيروس هي نفسها الواجب اتخاذها تجاه أي مستخدم من الخارج.

حفظ البرامج الرئيسة والتطبيقية :

من اهم طرق انتشار الفيروسات استعمال برنامج موجود على الشبكة مصاب بها. لذلك فان وضع البرامج المستخدمة من قبل جميع المستخدمين بطريقة آمنة يقلل كثيرا من انتشار الفيروسات. كأن يوضع للقراءة فقط دون الكتابة.

وتجب الاشارة الى ان هذه الخطوات اولية ولا تشمل جميع الاحتمالات ولكن كما قلت سابقا هي أفضل من لاشيء ■

ارامكو السعودية

المراجع

1- 3 Com. Designing More Secure LAN'S, 1992.
2- Number 86, Computer Security Newsletter,January/February 1989.
3- Netwrok News, 1989, Micro One Inc,. 1989
4- Computer Security Newsletter, March/April 1989.
5- Computer Security Journal, Number 2, Volume VII, 1991.
6- Harry B. DeMaio, Information Protection & Other Unnatural Acts, 1992.
7- Arabic Computer Dictionary.

أنا وهي وصدى السنين

شعر: سليمان العيسى - سورية

منْ صخـور اليأس .. فجّرنا الرجاءْ
وانسكبنا .. قطرات من ضياءْ
ومشينا .. في صحاري جدبنا
نزرع الحبّ .. عناءً وعطاءْ
كم حلأنا ، يا صديقي ، كأسنا
بالمرارات ..
وواصلنا الغناءْ !
هي في حقل الهوى سنبلةٌ ..
وأنا .. يا عطشا يغزو الدماءْ
كل ما تملك .. نبض دافئ
في حنايانا ..
وأحلام وضاءْ
وحكايات .. على ألوانها
يفرش الليل .. ويغفي في هناءْ

* * *

منذ أن ضاعت يدي في يدها
وارتمى ظلاً يهدينا المساءْ
منذ أن كنا على شط الدجى
شهقتي فجر .. وقلنا ما نشاء
لم نزل نبحث في صحرائنا
عن رؤى ماء ..
وما زلنا ظماء ..

* * *

لا تسلها كيف شقت دربها
في عناد .. وأضاءت في العماء !
هي مثلي ..
حلم لا يرتوي
وتحدٍ .. لانهيارات البقاء

وتلاقينا .. فيا أرض ارتشفي
خطونا .. توجنا ماء وإباء
وتخيّرنا هوانا .. جذوة
جددت في روحنا الجيل الهواء
منذ دهر .. لم تزل أقدامنا
قامدات .. لم يحركنا حداء
نحن شعب يؤثر النوم على
تعب الصحوة ..
والصحو شقاء ..
هات « ياليل » .. وخذ اغفاءة
ودع الليل على « الموتى » غطاء
تركتنا خلفها كل الخطا
ووقفنا .. نجديها بلهاء
ورفضنا وحدنا .. ما حولنا
وتمردنا .. على هذا العفاء
وتماسكنا على الدرب .. وقد
راح يتساقط فيها الرفقاء
ليس في سفر الرزايا موجع
مثل أن تشهد حلماً في انطفاء
امتلك نفسك
لا تركع على
ورضة تغوي ..
تكن أنت البناء
هكذا .. صغنا معاً ألواحنا
وكتبناها .. بصمت الكبرياء
ربما .. ذات غد .. كنا ندى ..
عشبة خضراء .. في هذا العراء

منبريّة النّص ومنبريّة القراءة

بقلم الأستاذ: شوقي بزيع - لبنان

منذ عقود عدة والحديث عن المنبرية في الشعر يأخذ بالازدياد. وهو يستخدم غالبا بوصفه سبّة أو نقيصة، بصرف النظر عن طبيعة الشعر ومستواه. وأكثر ما يأتي الهجوم من قبل الذين يرون في الشعر نصا للقراءة السرية التي تفقد متعتها في التعميم وعلو الصوت. وقد ترافقت هذه المفاهيم مع الرؤية الانقلابية للحداثة التي رفضت ان يكون الشعر مجرد اداة للخطابة والتحريض والهاب المشاعر. هناك من يرى ان الزمن الذي كان فيه الشاعر يستطيع ان يلعب دورا تغييريا مؤثرا في مجتمعه قد ولى. فهو لم يعد لسان حال القبيلة والناطق باسمها وحارس قيمها في زمن تحول فيه العالم إلى قرية كبيرة تحكمها وسائل اعلام واجهزة اتصال لا تترك للشاعر ما يفعله سوى التحسر على دوره المفقود ومجده الضائع. ولو قدر لأبي تمام والمتنبي واحمد شوقي وحتى عمر ابو ريشة ان يعودوا إلى الحياة لما وجدوا بانتظارهم احدا من أولئك الذين كانوا يجدون في الشعر اداة لتغيير الواقع واعادة صياغته من جديد.

وفي اعتقادي أن الكثير من المخاوف التي يبديها الحريصون على شعرية الشعر وطبيعته هي مخاوف حقيقية من حيث رغبة اصحابها في عدم افساد الشعر بعناصر خارجة عنه ومؤثرات تسهم في اختلاط المفاهيم وضياع هوية الشعر وتحوله إلى مجرد خطب حماسية.

لكن المشكلة تكمن في الخلط بين الشعر بحد ذاته وبين وسائل ايصاله للناس. وهو امر يجب ان لا يمس جوهر الكتابة الشعرية في شيء. وما تنبغي الاشارة إليه هو ان المنبر عند العرب مرتبط بالصوت لا بالكتابة، وان ثمة فارقا بينا بين الكتابة والتصويت.

جاء في لسان العرب أن النبر بالكلام هو الهمز، وهو ارتفاع الصوت وصيحة الفزع. والنبار هو فصيح الكلام. والمنبر سمي منبرا لارتفاعه، ونبرة المغني هي ان يرفع صوته عن خفض. والمعنى الأخير يكشف عن نظام للنبر يرتبط بالتلوين الصوتي وتعدد مستوياته كجزء من التأثير على المستمعين.

والشعر وفق منظورات مختلفة، بصرف النظر عن تباين نماذجه، هو ظاهرة صوتية ما دام يعتمد اللغة مادة له. والحجة التي تقول ان ارتباط الشعر بالمنبر كان يتم في عصر ما قبل التدوين نتيجة لضرورات المشافهة لا تسقط عن الشعر ارتباطه بنظام النبر والتصويت والتلوين الكلامي.

والرؤية الغربية للشعر لا تختلف كثيرا عن رؤية الشرقيين له. فقد رأى بول فاليري بأن الشعر «هو ذلك التردد الممتد بين الصوت والمعنى». وكان الكسندر بوب قد رأى من قبل «بأن على الصوت أن يبدو صدى للمعنى». هكذا يبدو التصويت، لما له من قدرة على تداخل الحروف والمعاني، جزءا من العملية الشعرية التي تشكل الموسيقى احدى دعاماتها الاساسية.

وصحيح أن الحضارة المعاصرة اعادت للبصر الكثير من اهليته ودوره اللذين انتزعهما السمع لقرون طويلة الا ان هذه الحضارة لم تهدم العنصر السمعي بالكامل بل حاولت ان تقيم توازنا بين السمع والبصر.

ويمكن لقائل أن يقول إن الاكتشاف الحقيقي للشعر يتم عبر القراءة لأنها علاقة فردية وسرية بين الشاعر وقارئه، في حين ان المنبر يسهم في تضليل المستمع عبر مؤثرات صوتية لا تمت إلى الشاعرية بصلة. ان المشكلة في تقديري لا تكمن في المنبرية بحد ذاتها باعتبارها احدى وسائل الاتصال بين الشاعر والمتلقي. فلا فن حقيقيا يبتهج بالقطيعة بينه وبين جمهوره، حتى لو كان التواصل الكامل متعذرا تماما. المشكلة تكمن

في طبيعة استخدام المنبر من جهة وفي تنمية العلاقة بين الشاعر والجمهور من اجل خلق نظام جمالي دائم التغير من جهة اخرى. فالشعر ليس اداة معرفية فحسب بل هو في الوقت ذاته اداة للمتعة السمعية والبصرية يولدها نظام خلاق من الصور والمعاني والايقاعات.

ان التجارب المنبرية التي عرفناها في العقود الماضية تثبت ان المنبر ليس هو المشكلة بحد ذاته، فهو لا يستطيع ان يفسد شاعرا جيدا واصيلا، ولا يستطيع بالمقابل ان ينصب على رأس الشعر نظامين قليلي الموهبة. والمقولة التي تذهب إلى أن هناك تناسبا عكسيا بين جودة الشعر وبين امكان ايصاله أو انتشاره ليست صحيحة في كل الحالات. فليس كل شعر قابل للوصول شعرا رديئا بالضرورة، وليس الشعر الجيد شعرا منقطعا عن الجمهور بالوجه الكامل، ولدينا من الادلة ما يكفي لتبيان هذه الحقيقة. فمحمود درويش على سبيل المثال، الذي يعتمد على مقدرته البارعة في الالقاء والنبر والتلوين الصوتي، استطاع ان يقيم تواصلا حقيقيا بينه وبين جمهوره رغم ما في شعره من صعوبة وكثافة بالغتين. والذين استمعوا إلى محمد الفيتوري وسميح القاسم في غير امسية او مهرجان يدركون ما يستطيع الشاعر ان يفعله إذا كان متمكنا من الالقاء بما يتطلبه من تنوع في التعبير والقدرة على التحكم في نظام التقطيع والنبر وتعدد الطبقات الصوتية. وكذلك الأمر بالنسبة إلى ادونيس الذي يستطيع رغم صعوبة شعره وعمقه ان يقيم بينه وبين جمهوره حالة من النشوة الخفية التي يوفرها القاؤه المتنوع والسحري.

وإذا كان ثمة شعراء لا يلقون قصائدهم في المحافل العامة فإن الأمر لا يتعلق بالزهد أو عدم القناعة بقدر ما يتعلق بعدم قدرتهم على الالقاء كما حدث مع امير الشعراء شوقي، الذي كان يكلف من يقرأ قصائده نيابة عنه، او كما حدث لعبدالصبور والبياتي وسعدي يوسف الذين لا يجيدون فن الالقاء رغم انهم شعراء كبار ومتميزون.

ان تجربة الفنانة نضال الاشقر في اداء الكثير من النصوص الشعرية القديمة والحديثة هي احدى التجارب المميزة التي يمكن ان تسهم في ردم الهوة بين الشعر وجمهوره من خلال ما تمتلكه من قدرات تعبيرية وتلوين صوتي ومعايشة للنصوص الشعرية من الداخل. كما ان التجربة المسرحية التي قدمها مسرح بيروت مؤخرا من خلال مجموعة محمود درويش الأخيرة «احد عشر كوكبا» هي تجربة ناجحة وقابلة للتعميم.

وما يصدق على الشعر العمودي والشعر الحر يصدق ايضا بالنسبة لقصيدة النثر. فلقد اثبتت التجارب ان بعض نماذج قصيدة النثر الجيدة قادرة على مس الجمهور والتأثير فيه بما تحمله من شحنات تعبيرية قائمة على المقابلة والتضاد وهندسة الجمل. والجمهور الحقيقي لا يستجيب للابيات الرنانة والخطب الحماسية بقدر ما يستجيب للمتعة الشعرية والصور الحية النابضة. لذلك فإن قصائد محمد الماغوط وانسي الحاج وقصائد نزار قباني النثرية استطاعت في غير مناسبة ان تولد شرارة المتعة التي يولدها النص الجميل في نفوس المستمعين.

ربما كانت المسألة الجوهرية بالنسبة للمنبرية هي ضرورة التفريق بين المنبرية كهدف والمنبرية كوسيلة. فالأمر الاكثر سوءا وبؤسا هو ان يضع بعض الشعراء المنبر في مقدمة رؤوسهم حين يكتبون، حتى ليبدو ان المنبر هو الذي يكتب القصيدة بالنيابة عنهم. ان العلة تكمن في منبرية النص لا في منبرية الالقاء. وفي حالة كهذه يقف الجمهور حاجزا بين الشاعر والكتابة ويصبح سلطة قامعة للابداع الحقيقي ومعيقا لقدرة الشاعر على الحفر في ذاته الداخلية ومكنونات نفسه. فالشعر في لحظة كتابته هو عملية استبطان عميقة لا يمكن ان تتم في الساحات الواسعة والهواء الطلق. وهو لكي يضيء ينبغي ان يتشكل اولا في ظلمته العميقة تماما كالينابيع التي تندفع طويلا في مجاريها الجوفية قبل ان تنفجر في سطوع الشمس ورحابة النهار. وحين يتحول المنبر إلى هدف يصبح الشاعر جزءا من الحالة الافقية لجمهور السطوح والساحات والشعارات الطنانة بينما تلمع مياه الشعر الحقيقية في مكان آخر ■

حرية التعبير الفني عند الطفل

بقلم: د. حسيني علي محمد - كلية المعلمين - الجوف

إن الاهتمام بدراسة وتحليل فن الطفل، ليس بالشيء الجديد، بل يمتد إلى عصور قديمة، منذ كان الاهتمام بالطفل ذاته، فقد ورد في الكتب السماوية ما يشير إلى اهمية تربية الصغار وتقويمهم، وكذلك في النظريات التي نادى بها «افلاطون» في الجمهورية، وفي كتابات المحدثين من الفلاسفة، امثال «جون لوك» و «روسو» وغيرهما، ويشكل كل من نظام التعليم السائد، ونظرة المجتمع إلى اهمية التعبير الفني عند الطفل، قاعدة للطفل تنطلق منها قدراته نحو الابداع في مجالات الحياة.

ولكي يصل الطفل إلى هذا القدر من الابداع، فإن عامل الحرية مهم، وممارسة الطفل لعملية التعبير الفني من خلال مجالات التربية الفنية المتعددة، ومن خلال توافر قدر من الحرية، تساعد الطفل على ان يكون طليقا في تفكيره، وفي طريقة الجمع بين العناصر التي يستخدمها، وفي تهيئة المناخ المناسب لنمو القدرة الابداعية، فالعملية التربوية والتعليميه ليست حفظا للمعلومات او تدريبا على المهارات والتقنيات، بل ان الفهم والقدرة على حل المشكلات التي تواجه الطفل، تساعدانه على نمو القدرة الابداعية لديه.

والطفل بفطرته محب للاستطلاع، لديه تعطش للمعرفة والفهم، وهذه الدوافع النفسية، إذا ما وجدت التشجيع المناسب سوف تكون اقوى، وتعطي ثمارها، وهذا ما نحن في اشد الحاجة إليه، كما ان الخبرة التي يكتسبها الطفل منذ مراحل حياته الأولى تلعب دورا مهما في تنمية مواهبه الفنية الفطرية. ولقد كان «لوك» (١٦٣٢ - ١٧٠٤) من أوائل المفكرين الذين مهدوا لهذه الحقيقة، فناقش الكثير من الأفكار القديمة التي تتصل بتربية الطفل، ونشر عام ١٦٩٣، مقالته: «بعض الافكار المتصلة بالتربية» نصح فيها المربين بترك الحرية للطفل، كي يعبر عن مشاعره، والا يفقد حريته الا قليلا. اما «روسو» فلقد رفض ايضا الأفكار التي


أرامكو السعودية

كانت سائدة في العصور الوسطى عن تربية الأطفال، وما نعلمه من قراءتنا لمفاهيم «روسو» التربوية، هو الاحترام الكبير للأطفال كأفراد، وقد دعا إلى تشجيع الطفل كي يعبر تعبيرا حرا - غير مقيد - عن دوافعه النفسية التي هي في جوهرها واصلها دوافع نبيلة .

والتربية الفنية بشقيها الجمالي والتربوي، تهدف إلى نمو القدرات الذاتية للفرد، كي ينمو كشخصية متكاملة، حتى يصبح لديه خبرة معرفية متكاملة، بجوانبها المختلفة، كالخبرة البصرية، واللمسية للعناصر الجمالية والشكلية الموجودة في بيئة الطفل، وهذه من شأنها اشباع ميول الطفل، والمساهمة في التعبير عن كيانه، من خلال المجالات المتعددة للنشاط الفني، بهدف الوصول إلى تنمية القدرات الابداعية لدى الطفل، دون التركيز على ان يكون العائد من ذلك، انتاج ما هو جميل ونفعي، كما ان طبيعة التربية الفنية تمثل جانبا ابداعيا، ولا يمكن اغفاله عند التخطيط للمنهج التعليمي في اطار العملية التربوية والتعليمية. ومن الغريب انه رغم تلك الأهمية البالغة للتربية الفنية، فإن موقعها على الخريطة التعليمية في مرتبة لا تتناسب وهذه الأهمية، وهذا مرجعه إلى بعض العوامل والأفكار التي لاتتسع هذه المقالة لعرضها ومناقشتها.

وقضية الحرية عند الطفل في اثناء ممارسته لنواحي التعبير الفني ، تناولتها آراء كثيرة وتراوحت ما بين القبول والرفض، والايجاب والسلب، فمنذ ان ساد مفهوم الاعتماد على الفطرة، وهو المفهوم الذي يعتمد على مقولة «إن الطفل يرسم ما يعرفه لامايراه» فقد انعكس ذلك على عملية التخطيط لبرامج التربية الفنية - خاصة في مراحل التعليم الأولى - وساد مبدأ الحرية المطلقة ، وهذا الاتجاه نادى به الكثيرون من رجال التربية المهتمين بالتربية الفنية، مثل«فيكتور لونفيليد Victor lowenfeled» الذي تبنى فلسفة التربية عن طريق الفن ولقد شاركه اعتناق تلك الفلسفة «هربرت ريد Herbert Read » ، ووصل بهما الافراط في اتاحة حرية التعبير الفني للطفل، لدرجة انهما ارجعا الاعاقة في التعبير الفني عند الطفل، إلى التدخل والتوجيه من قبل الكبار، واكدا على ان دور المعلم هو تهيئة الجو وترك الحرية الكاملة للطفل .

ولقد ظهر اتجاه تربوي في الخمسينات ، ينظر إلى أن ممارسة التعبير الفني في المجالات المتنوعة للتربية الفنية يجب ان تتم من خلال الاعتماد على مبدأ الحرية في كيفية التعبير، دون النظر إلى المجال البيئي بعين فاحصة ومدربة على قدرة الملاحظة والتحليل والتمييز بين الاشكال والعلاقات والألوان والخطوط واللمسات، وغيرها من القيم



الجمالية والفنية الموجـودة في عناصر الطبيعة. لأن التعبير الفني عند الطفل قائم على حـرية نابعة من الفطرة، دون تـوجيه مباشر للتلميـذ من قبـل المعلم. ومن هنا تفقـد هذه المادة التربوية الابـداعية سمات التفـرد والخصـوصيـة، ونتيجـة لانتشـار مفهـوم الحريـة المطلقـة في التعبير الفنـي عنـد الاطفـال، انعكسـت آثـار سلبيـة على الجوانـب والأهـداف التربويـة المنشودة، منها فقدان السيطـرة والضبط، وافتقـدت المادة اهم دعـامات النشـاط الفني، ممـا اضعف فعاليتها، وقلل من واقعيتها ، واصبح واضحا مدى الخلط بين تعلم لغـة الفن، وبين حرية التعبير، لأن تعلم اللغة يسبق دائما مرحلة التعبير .

ونجد «رودلف آرنهايم Rhodolf Arnheim » وكثيرا مـن علماء التربيـة يـرون ان الطفـل يـرسـم العناصر بمفهوم ذهني (Mind Concept) اكثر منها تسجيلا بصريـا لمظاهـر الاشياء التـي يراهـا وهذه التعبيرات الفنيـة تنمو، وتـزداد ثـراء فنيـا، عندمـا يتلقـى التلميـذ التعليمات والتـوجيهـات الفنيـة السليمة - دون فرض نمط أو اسلوب - التي تساعد على تكـوين اسلـوب فنـي للطفـل، والتربية الفنيـة مجال مهـم في اطار العمليـة التربـوية والتعليميـة، تنمـو مـن خـلالها جوانـب التفكير العلمـي، وتبـزغ القـدرات الابـداعيـة، لـذا فـإنها مجال تثـار فيـه المشكلات، ثم تختبر الفروض، وتتاح فرص التجريب المتعدد للوصول إلى حلول ذات اتجاه تشعبي، وهذا من شأنه تنمية القدرة الابداعية لدى التلميذ .

ومن الـدراسات الحديثـة في هذا المجـال ، التي اهتمت بتحليـل الظروف والعـوامل التـي تؤدي إلى نمو القدرة الابداعيـة، قامت «آن رو Anne Roe » بـدراسـة على ثـلاث مجمـوعـات مـن العلماء،



ارامكو السعودية

واستخلصت من دراستها وجود وقائع متكررة في حياة هؤلاء العلماء، في أثناء طفولتهم لحل المشكلات التي تواجههم، معتمدين على امكاناتهم، فجو الحرية الذي يوفره الوالدان يساعد على تشكيل الأسلوب العام لحياة الغالم، ومن نتائج هذه الدراسة ان آباء وأمهات المبدعين يرسون دائما قواعد اسرية قوامها، أن المعرفة قيمة في ذاتها ، والحرية في متابعة الاهتمامات التباعدية امر حسن، كما أن الحرية والتشجيع يتيحان للطفل ان يستجيب للمواقف بطرق متنوعة، وان يختبر افكاره حتى يصل إلى النتائج .

وهذا الاتجاه التربوي لا يختلف مع ابحاث العالم التربوي «جليفورد» التي اوضحت ان الطفل الذي يمتلك القدرة على ايجاد حلول عديدة ومتنوعة للموقف الواحد، هو طفل مبتكر. وهذا ما اسماه «جليفورد» تحت بنود نظريته الخاصة بالتكوين العقلي «التفكير المتشعب». هناك ايضا تجارب « ناب Knapp »







و «جودريتـش Good Rich» عام ١٩٥٢م التـي تؤكد الفكرة نفسها .

من هنا تتضـح اهميـة الجو الاجتماعي الـذي يتسم بـالحرية، والذي يؤكـد قيمة التفرد، فـالدور الذي يقـوم به الكبـار قد يكـون عائقـا لنمو القـدرة الابداعية، وقد يكون مساعـدا على ظهورها ونموها، وهذا مـرجعه، مـدى وكيفية التـوجيه. وفي دراســة عــن النشـاط التلقائي والتعليـم الخــلاق، نجــد تأكيـداً عــلى أهميـة الحريــة في التعبير الفنـي كمدخـل لاتـاحة الفرصـة للطفل للتعبير عـن عالمه الخاص على نحو يؤكد رؤيته الذاتية لتنظيم معارفه ومـدركاتـه ومعلومـاته البصريـة، وفق انطبـاعاتـه الحسية.

وفي ضوء المفهوم المعاصر للتربية الفنية، وفي ظل تحديات العصر التي تتطلب من الفـرد تنمية قدراته المختلفـة من اجـل التوافـق مـع المواقف الجديـدة، والارتقاء بقدراته على التمييز، والتفكير الناقد، ونمو القدرة الابداعية، واصدار احكام جمالية سليمة، فإن رجال التربية بعامـة يؤكدون على عدم الاعتماد على الحفظ والتلقين كأساس للعملية التربوية، وان يكون الاهتمام الأكبر تــأكيـدا على اكتســاب المعـرفــة بجوانبها المتعددة. ومن هنـا فإن التربية الفنية، إذا توافرت لها الضمانات والامكانات المناسبة، من منهج دراسي منـاسـب، ومعلم قـادر على تنفيـذ وتحقيـق الأهداف الفنية والتربويـة لهذا المنهج، تصبح مجالا خصبا لنمـو القدرات الابـداعية عنـد الطفل. التـي تنمو عنـدما يمارس الطفـل التعبير الفني بحـرية، لكنها حريـة ليست مطلقة (كمن يطلـق الحبل على الغارب) وإنما حرية تقوم على أسس تربوية وعلمية ونفسية، وتتيح الفرصـة للطفل كي يجرب. ويتعرف ويتعلم ويبدع، كل هذا في اطار من الضمانات العلمية والأمنية ■

المصادر :

١ - د. محمود البسيوني «طرق تعليم الفنون» دار المعارف - القاهرة ١٩٨٨ (ط ١٣).

٢ - د. محمود البسيوني «ابداع الفن وتذوقه» - دار المعارف - القاهرة ١٩٩٣م.

٣ - ايدجـار فور واخرين، تـرجمة د. حنفي بن عيسـى «تعلم التكوين» الجزائر ١٩٧٦م.

٤ - كايـد عمرو : الـرؤية البصريـة في مناهـج التربية الفنيـة. مجلـة دراسات وبحـوث - جامعـة حلوان، العـدد الأول، مارس ١٩٧٧م. (ص ٢٨ : ٤٠).

٥ - هيلين فيشر دار، فان الين : ترجمة مصطفى فهمي «النشاط التلقائي والتعليم الخلاق» - القاهرة ١٩٦٣م.

أوجه الشبه والإختلاف بين الرّياضيات والعلوم الطبيعيّة

بقلم الأستاذ : أحمد محمّد جواد محسن - ليبيا

لاشك في أن الرياضيات من أقدم ظواهر النشاط الفكري الانساني، وهي ايضا من اقدم العلوم الطبيعية واغزرها وأعمقها، وللرياضيات تاريخ طويل حافل في سير الحضارة الانسانية. كما انها اكثر اشكال الابداع الثقافي تجريدا. ومع هذا فهي تتدرج في لغة الناس، وفي كتاباتهم، وعلى ارضية تساؤلاتهم العملية والتأملية على السواء، وبعبارة واحدة في تاريخ ثقافاتهم.

معنى الرياضيات

هناك تعريفات متعددة للرياضيات وضعت في فترات تاريخية مختلفة، منذ عهد الاغريق وربما قبل ذلك، وهي كثيرة يتعذر حصرها في هذا المقال، ولكننا سنشير إلى اكثرها تداولا. لقد ابتدأت الرياضيات في العصور القديمة. وقد سميت في فترتها الأولى بـ «الرياضيات الأولية» واتسمت في ذلك الزمن بثبات الاشياء التي يتم التعامل بها، وعدم الاستفادة من فكرة اللانهاية، والافتقار إلى القوانين والمبادىء العامة الثابتة.

وقد رأى كل من سقراط وافلاطون في الرياضيات اداة اساسية للتكوين الفكري. وتعد الرياضيات من وجهة نظر سابقة هي علم الفضاء والكم، ومن وجهة نظر متأخرة هي علم الانماط والبنى الاستدلالية. غير ان التقدم السريع للانتاج والهندسة والعلوم الطبيعية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، قد ادى إلى خلق وسيلة رياضية ملائمة لدراسة الكميات المتغيرة المرتبطة وظيفيا. وهنا برزت رياضيات جديدة سميت بـ «الرياضيات العالية» بمختلف فروعها. وتهتم الرياضيات نفسها بدراسة النماذج المنطقية المصممة لوصف مختلف ظواهر الطبيعة والمجتمع، وتبحث في العلاقات بين عناصر هذه النماذج فقط. فإذا كان النموذج الرياضي يعكس جوهر الظاهرة بالضبط، فإنه يجعل بالامكان اظهار بعض التناسق الذي لم يكن ظاهرا في بداية الدراسة. اي ان الرياضيات قادرة على كشف الجوانب النوعية الخفية لهذه الظاهرة. ويستطيع الفرد والنموذج الرياضي نفسه ان يصفا عمليات معينة وذلك بتأثير التجريد العالي.

ومع التأكيد المتزايد على الجوانب الاستدلالية لجميع وجوه الرياضيات اعلن بيرس Peirce[(١)] في منتصف القرن التاسع عشر ان «الرياضيات هي العلم الذي يوجد الاستنتاجات الضرورية» ويقول كانتور Cantor[(٢)] : «ان جوهر الرياضيات هي حريتها، الحرية في التشكيل، وحرية وضع الفرضيات». ويقول كلين Kline[(٣)] : «ان الرياضيات هي طريقة للتساؤل، تعرف بالتفكير البديهي. وهي اي الرياضيات نشاط ابداعي».

ومن خصائص الرياضيات الرمزية

(١) بيرس، فيلسوف وفيزيائي وعالم منطقي امريكي (١٨٣٩ - ١٩١٤م).
(٢) كانتور، عالم رياضيات الماني (١٨٤٥ - ١٩١٨م).
(٣) كلين، عالم رياضيات الماني (١٨٤٩ - ١٩٢٥م).

والتجريد والتعميم، وتعدد فروع الرياضيات وتشعبها من جهة واندماج بعض فروعها ببعضها من جهة اخرى. كما ان اهداف الرياضيات متنوعة، ويحددها هنري بونكاريه[1] بقوله: «ان للرياضيات ثلاثة اهداف، أن تمدنا باداة لدراسة الطبيعة وهدفا فلسفيا وهدفا جماليا».

مراحل تطور العلم

يفترض في دراسة اي علم دراسة تاريخية ان تمر بطورين رئيسين. الأول ويدرس على وجه الحصر من وجهة نظر كيفية ولكن بعد فترة أولية تستعمل الطرق الكمية، على نحو متزايد، وأحد الأسباب الرئيسة لهذا النوع من التطور - من الكيف إلى الكم - هو أن هذا العلم قد بدأ كدراسة للملاحظة وتقدم إلى التجربة واخيرا إلى الدراسة النظرية. ففي البداية تتم ملاحظة الظواهر حسب حدوثها في الطبيعة، وبعد ذلك تتضمن الطريقة العلمية وانجاز التجارب والحصول على استخلاصات من هذه النتائج، ومن ثم محاولة صياغة قوانين عامة. غير ان بعض العلوم وبسبب طبيعتها، تقفز من الملاحظة إلى النظرية بدون أن تستفيد من التجربة. والفلك مثال واضح على ذلك، والملفت للنظر أن الملاحظة والفلك قد تقدما نظريا جنبا إلى جنب لعدة عصور.

وتعد الفيزياء في الوقت الحاضر، العلم الذي يستعمل الرياضيات بشكل واسع. وان الظواهر الفيزيائية هي، نوعا ما، أقل تعقيدا من تلك العلوم الاخرى. وان موضوع الفيزياء قد تقدم خلال مراحل الملاحظة والتجربة حتى استوى كعلم نظري. وهذا لا يعني القول ان الملاحظة والتجربة لا تجري الآن في الفيزياء، ولكن النقطة الرئيسة هي ان الفيزياء قد وصلت إلى مرحلة متقدمة، حيث يوجد هيكل جوهري نظري، رياضي هو مصدر الملاحظة والتجريد. وفي الوقت الحالي، تكون الجوانب التجريبية والنظرية لهذا الموضوع لها نفس الأهمية.

ويعد علم الكيمياء اكثر تعقيدا من الفيزياء، الا ان جوانبه النظرية لم تتطور كثيرا كما حدث بالنسبة لعلم الفيزياء. وبالرغم من ان هناك تقدما مثيرا في الكيمياء النظرية في السنوات الأخيرة، فما تزال الكيمياء ككل في الوقت الحالي علم تجريبي اكثر من الفيزياء.

اما في علم الاحياء، فإن الحالة جدا مختلفة. لأن ظواهر علم الاحياء معقدة جدا، هذا أولا، وثانيا فإن هناك مجالات غير محدودة تقريبا للملاحظة البحتة بالنسبة إلى ظواهر علم الأحياء. ولهذا فإن علم الاحياء في هذا القرن اصبح علما تجريبيا في حين بدأت الأعمال التجريبية في الفيزياء منذ القرن السابع عشر.

مقارنة بين الرياضيات والعلوم الطبيعية

مما تقدم، يبدو ان النظرية الرياضية، هي الهدف النهائي في اي موضوع من الموضوعات العلمية، لأن الظاهرة الطبيعية يمكن تفسيرها بمصطلحات دقيقة. ومن الواضح فإن نتائج التجربة، عادة ما تكون في شكل كمي، ولهذا فإن الاستدلال النظري الراسخ يمكن ان نحصل عليه عادة بالتحليل الرياضي. وهذا هو السبب الذي يجعل الرياضيات اساسية لأي من العلوم الاخرى.

ويختلف التفكير الرياضي عن التفكير في الموضوعات الاخرى، في كونه مؤكدا ودقيقا قياسيا. كما ان هناك اختلافا في التفكير الاستدلالي بين الرياضيات والعلوم الاخرى، فمثلا تم التوصّل في القرن الثامن عشر بواسطة الحدس، ان كل عدد زوجي هو عبارة عن مجموع عددين اوليين. ولكن علماء الاختصاص في الرياضيات لا يقبلون هذا الاستنتاج كنظرية رياضية، لأنه لم يتم التوصل إلى برهنتها استدلاليا عن طريق مقدمات منطقية مقبولة، بينما اصحاب الاختصاص في العلوم الاخرى لا يترددون في استعمال هذه النتيجة التي تم الحصول عليها استنتاجيا. ولهذا فإن عالم الرياضيات يصر على ايجاد برهان استدلالي Deductive حتى إن كانت صحة النتيجة غير مشكوك بها.

(١) هنري بونكاريه، فيزيائي ورياضي وعالم فلك فرنسي (١٨٥٤ - ١٩١٢م)

إن عـالم الطبيعـة يشعـر بحـريـة في استخـلاص النتائج المبنيـة على الملاحظـة والتجريب والخبرة، وربما استخـدم طريقة التفكير بالتماثـل Analogy فمثلا، عنـدما يفكـر هذا العـالم حول الموجـات الصوتيـة وذلك بمـلاحظة الموجـات المائية، او عنـدما يفكر في ايجاد طريقة لعلاج مـريض ما وذلك باختبـار العلاج على الحيـوانات. او عنـدما يفكـر ايضا استنتـاجيـا Inductively إذا لاحظ ان $2H_2 + O_2 = 2H_2O$ عدة مـرات، فسوف يستخلـص، انه تحت نفـس الشروط فـان هـذا التركيب سـوف يشكـل الماء. وفي بعـض مراحـل عمل عـالم الطبيعة، فـربما استخـدم الطـريقة الاستـدلاليـة، وبعـض مفاهيم الرياضيـات وطرقها على الورق. ومع ذلك فإنه بالتأكيد لا يقيد نفسه بالمناقشات الاستدلالية فقط.

وعـادة مـا يكتفـي عالم الـريـاضيـات، بمتـابعة اي مجمـوعـة مـن البديهيـات او المقـدمـات المنطقية الأوليـة حيثما تصـل، طالمـا ان النتائـج تثير اهتمامـه او انتباهـه او يكـون هدفـه الوصـول اليهـا، بينمـا عالـم الطبيعة يكتفي بـالبديهيات في عمله طـالما ان استـدلالاتـه تـؤيـد بـالتجـربـة والملاحظة.

ولهذا فـإن الملاحظـة يمكـن ان تقنـع عالـم الطبيعة لتغيير «بـديهياته» ولكنهـا لا تستطيع ان تـوصل عـالم الريـاضيات إلى نفس النهاية.

ويشكـل التفكـير الاستـدلالي، الجـزء الاسـاس فـي الـرياضيـات، ولكـن هنـاك صفـة اخـرى مهمـة، بالـرغـم انهـا لاتنحصـر في الرياضيـات، ولكنهـا اساسيـة بـالنسبـة إلى طبيعة الموضـوع، وهـي ان الريـاضيات تتعـامل مـع المفاهيـم المجردة التي غالبا ما يمكن الحصول عليها مـن الاشياء الماديـة. وفي هـذا الاطار فـإن الخـط المستقيـم المادي لـه سمـك ولـون وهيكل جـزئي، وغالبـا ما يكـون له صـلابة، بينما الخطـوط المستقيمـة في الريـاضيـات ليـس لها هـذه الصفـات. ولهذا فـإن احـد اجـزاء قـوة الـرياضيـات الخفيـة، يقـع في استعمالها لهذه المفـاهيـم المجـردة. وبهذا المعنى فإننا نخلص عقـولنا من التفصيلات المثقلـة وغير المرتبطـة، ونصبـح في اكثـر الأحوال قادرين على انجاز الكثير.

ومع ان الرياضيات تتخصص في تمحيص أو دراسة جانـب واحد من جوانـب الطبيعة الماديـة، فـإنها بخـلاف العلـوم الطبيعيـة لاتتفاعل تفاعلاً مبـاشراً مع الاشياء المادية، بل عبر التجـريد والتعميـم. وهذا يعنـي ان محتوى الـرياضيـات ليس لـه وجود مـادي محسـوس على غـرار الاشياء المحسـوسـة المألـوفـة في الطبيعـة التي تتعـامـل معهـا الفيزياء أو الكيمياء أو الاحياء مثلا. اي ان مادة الريـاضيات هي المسائل المجـردة التي تتعامـل مع الـرموز والمعـادلات. والتجريـد الرياضي هذا ذو درجـات صاعدة متسلسلة الارتفاع يقـع في قمتها «تجريـد التجريـد» الـذي هـو خلو في الاصـل مـن أي محتـوى محسـوس، سـوى العـلاقات التـي تـربـط المجـردات ببعضهـا التي تعبر عـن نفسهـا برموز هـي الاخرى في منتهى التجريـد مثل نظـريـة المجمـوعـات والجبر المجـرد والتبولوجيا Topology.

ولهذا فإن تاريخ العلـم يدل بوضوح على ان العلوم الطبيعيـة الأكثر تـركيزا والاسرع تقدما هي التي تعبر عن محتواها بالأساليب الرياضية ■

المصـادر:

١ - هنري بـونكاريـه، قيمة العلـم، ترجمة الميلـودي شغموم، دار التنوير - بيروت ١٩٨٢م.

٢ - نـوري جعفـر، التقـدم العلمي والتكنـولـوجـي ومضامينـه الاجتماعية والتربـوية، منشـورات وزارة الثقافة والفنون - بغداد ١٩٧٨م.

3. Davis, Ph. J. & R. Horsh, "The Mathematical Experience", Houghton Mifflin, Boston, 1981.

4. Kline, M. "Mathematics in Western Culture", Penguin, Harmands Worth, 1977.

5. Causten, D.R. "A Bilogist's Basic Mathematics", Edward Arnold, London, 1983.

قضيّة بيئية

عودة العقاب الأصلع !!

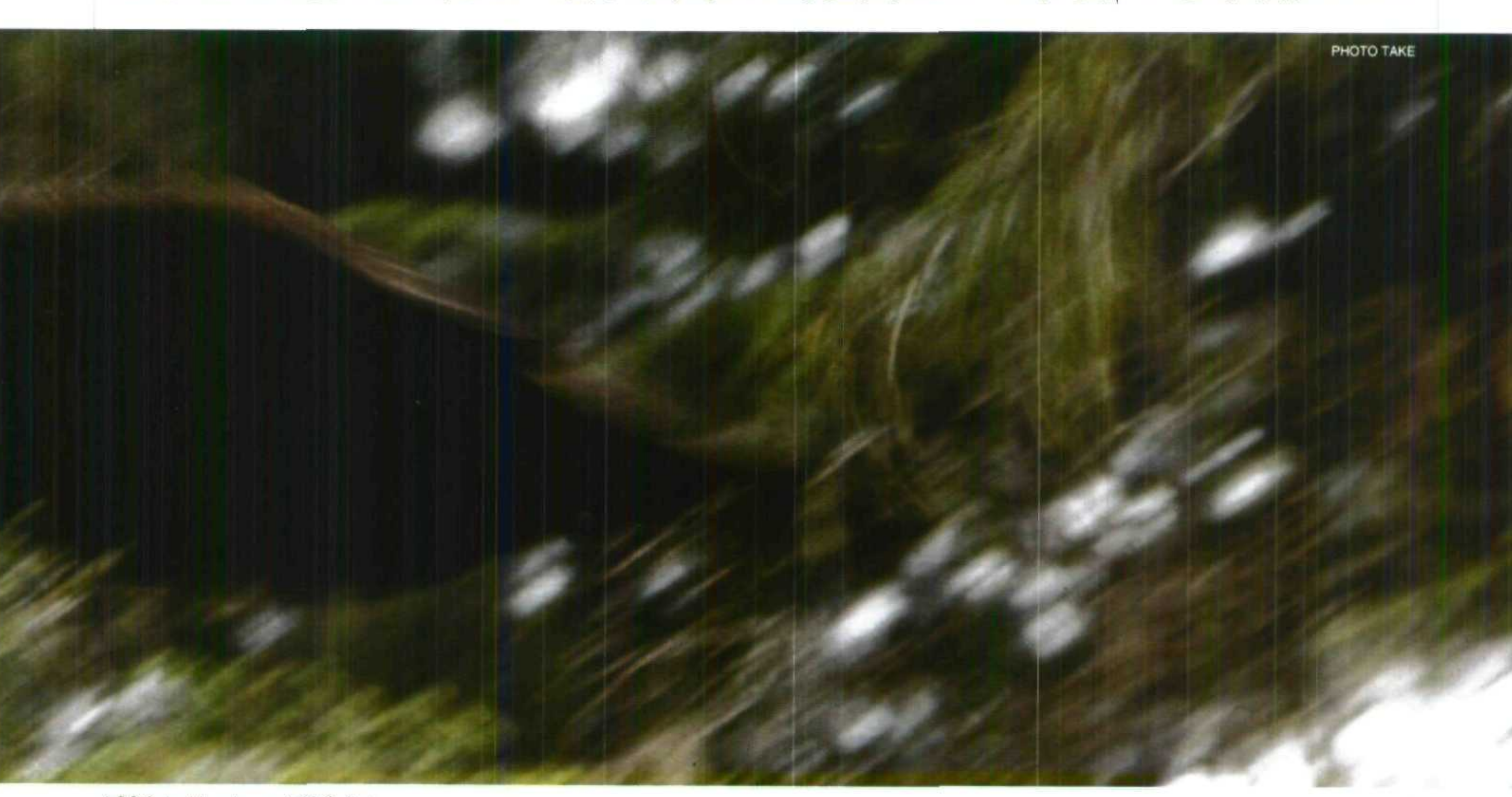
بقلم الأستاذ : رجب سعد السيد - مصر

لم ير معظم الامريكيين العقاب الأصلع، الذي اختاروه في عام ١٧٨٢م شعاراً لدولتهم، محلقا فوقهم في السماء حرا طليقا. وهم لا يكادون يعرفونه الا من خلال صوره في الملصقات وأوراق المكاتبات الرسمية، والسبب في ذلك انه طائر نادر الوجود، بل هو معرض للانقراض.

لقد تناقص هذا النوع من العقبان إلى ثلاثة آلاف عقاب في السبعينيات من هذا القرن، بعد ان كان يتراوح اعدادها بين خمسة وعشرين وخمسة وسبعين ألفاً في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد نجحت جهود علماء البيئة في السنوات الأخيرة، في ابعاد شبح الانقراض عن هذه العقبان، فصار تعدادها ١٣ الف عقاب، تستقر في اعشاشها وتحلق في سماوات الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن ذلك لم يكن سهلا، بل اشبه بمعركة صعبة، امتدت لسنوات طويلة بين علماء البيئة والمؤسسات المهتمة بصون الموارد الطبيعية، وبين عوامل عديدة كانت تهدد وجود العقاب الاصلع وتجعله عرضة للاختفاء من قائمة الكائنات الحية على سطح الأرض.

ولقد عامل الامريكيون عقابهم الاصلع بقسوة وجفاء، فاجتثوا في عام ١٨٥٠ تسعين بالمائة من غابات ولاية ماساشوسيتس، وكانت تمثل الموطن الرئيس لاكبر حشد من تجمعات هذه الجوارح المهيبة، ذات اللون البني الغامق، التي تتزين اعناقها بطوق من الريش الابيض.

ولم يسلم العقاب الأصلع من الدمار الذي ألحقه مبيد الـ (د.د.ت.) بمختلف الأنظمة البيئية، فقد ادى رش الحقول والغابات بهذا المبيد إلى تشويه بيضة العقاب، فاصبحت قشرتها رقيقة جدا وعاجزة عن حماية الجنين حتى يأتي موعد الفقس. بالاضافة إلى ذلك، فقد تعرضت



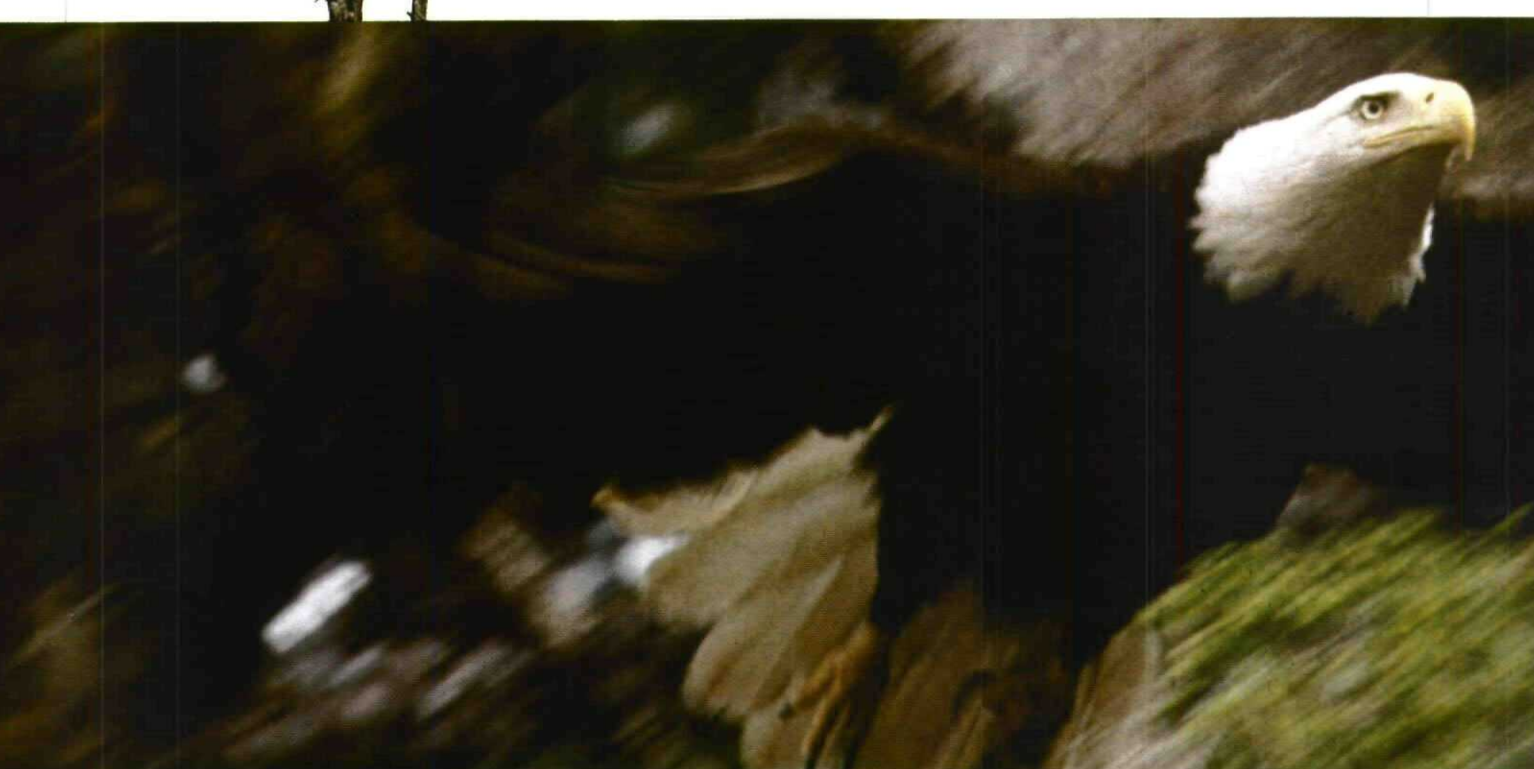
العقبان الصلعاء للتسمم بالرصاص من جراء اقتناصها لفرائس من حيوانات الصيد المصابة بطلقات الرصاص .

وأخيرًا ، تأتي أنشطة الصيد غير القانونية، كمصدر اضافي للمنغصات التي افسدت حياة العقاب الأصلع. وقد فوجيء علماء هيئة خدمات الصيد والحياة البرية الامريكية في اثناء اجراء دراساتهم على هذا العقاب، أن ٧٥٪ من العينات والنماذج التي اصطادوها ليخضعوها لهذه الدراسات، مصابة بجروح احدثتها عيارات نارية، مما يؤكد استمرار نشاط الصيادين المتلصصين، بالرغم من القوانين الفيدرالية التي تمنع وتجرم صيد هذا الطائر وبيعه حيا أو الاتجار فيه محنطا وفي المشغولات المصنوعة من ريشه .. فمن اجل هذا الريش وحده يتم اصطياد ثلاثمائة عقاب اصلع سنويا .

وقد بدأت جهود العلماء في اعادة «المخزون الطبيعي» من طيور العقاب الأصلع إلى حالة من الانتعاش، وتعويض الاعداد الكبيرة التي تفقد بسبب الصيد وسوء الأحوال البيئية، معتمدين في ذلك على نظام تجريبي خاص، فتربى هذه الطيور في مركز ابحاث بولاية ماريلاند، ثم تطلق في المناطق التي كانت قد اختفت منها او نقصت فيها نقصا مؤثرا. وقد اثبت هذا النظام نجاحه واعطى نتائج طيبة .

وكان العلماء، في بداية التجربة، يستخدمون (حضانة) صناعية، يضعون فيها البيض ليفقس، ثم اكتشفوا ان الطائر المسمى (دجاجة جاوى)، وهو نوع من الدجاج صغير الجسم، يقبل ان يرقد على بيض العقاب الأصلع ويرعاه حتى يفقس، ويتفوق في الانتاج على المعدات الصناعية. والعجيب في الامر، ان معظم البيض المستخدم في تجارب علماء مركز ابحاث ماريلاند، وضعته امهات من العقبان الصلعاء وهي في الحبس، وقام المشرفون على التجربة بانتزاعه منها بعد خمسة ايام فقط من رقودها عليه، ليضعوه تحت دجاجة جاوى ! وهم يلجأون إلى ذلك كوسيلة لزيادة انتاج البيض .. فهي تفجع في بيضها المفقود، وتضطر - خلال فترة تتراوح بين ١٨ و ٢٤ يوما - إلى وضع بيض جديد .

PHOTO TAKE



وهي لم تكن لتأتي بالمزيد من البيض لو انها تركت راقدة في العش فوق البيض الأول حتى يتم فقسه .

وتخضع العقبان الوليدة لعناية خاصة، فتربى في مركز الابحاث لمدة ثمانية اسابيع، تلقى خلالها كل رعاية واهتمام من الفنيين القائمين على تربيتها، ثم تنقل إلى العراء خارج المركز، في برج ارتفاعه ٣٥ قدما، تنتهي قمته بمنصة عليها قفص، يعيش فيه العقاب الأصلع لمدة خمسة اسابيع يكتسب خلالها الاحساس بالبيئة الطبيعية، ويعايش ظروف الحياة البرية. وفي هذه المرحلة من حياته، يقدم له الفنيون الغذاء، ويحرصون على التخفي عن عيون العقبان الصلعاء الصغيرة، حتى لا تنشأ بينها وبين الانسان ألفة، فتأمن للبشر الذين كانوا السبب في اصطيادها وتناقص اعدادها بصورة مستمرة .

ويؤكد العلماء على احتياجهم إلى مزيد من المعلومات عن حياة وسلوكيات العقاب الأصلع، ليتمكنوا من تطوير انظمة تربيته ودفع جهود اعادة اعمار البيئات الطبيعية بتجمعاته. وقد توصلوا اخيرا إلى صنع جهاز صغير جدا للاتصال بالأقمار الصناعية، يثبت بظهر الطائر، ويتيح للمراقبين تتبع سلوكيات حياته اليومية اينما حل، ورسم محاور هجراته من مكان لآخر .

وللعقاب الأصلع احوال اجتماعية تتسم بالطرافة . فهو - على عكس كثير من الكائنات الحية - غير مزواج، ويرضى بزوجة واحدة تشاركه حياته. ويتبادل الزوجان حركات ومظاهر تدل على الالفة والانسجام بينهما، حين تشق انثى العقاب طريقها صاعدة في اتجاه السماء بسرعة. وعند ارتفاع عدة آلاف من الاقدام، تكف عن الصعود، وتستلقي في الفضاء، وظهرها في اتجاه الأرض، متحكمة في هبوطها المتمهل. وحين يصل الذكر، وتتشابك مخالبهما وتمتد اجنحتهما إلى اقصى اتساع لها، ليحملهما الهواء في (سقطة حرة) يحسدهما عليها ابرع رجال المظلات.. وقبل أن يقتربا من الأرض بوقت كاف، يعودا إلى الطيران تجنبا لخطر الارتطام بالأرض .

ولم يشاهد زوجان في حالة خلاف او عراك، بل تمضي الحياة بينهما في توافق وهناء . ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الزوج، فهو متعاون إلى اقصى درجة . ويشارك في بناء العش، فيقوم بالمهمة الصعبة، وهي جلب افرع الاشجار الصلبة التي تمثل هيكل العش، وهي اعواد يصل طولها إلى ستة اقدام وهو ينتقيها بعناية، فيندفع بقوة إلى الفرع المطلوب، ويضربه بقدميه فينكسر، فيقبض عليه بمخالبه عائدا به إلى موقع البناء. وبعد بناء العش، يتبادل مع الأنثى الرقود فوق البيض، ثم يساعد في تغذية الصغار ورعايتهم. ويحمل العقاب الأصلع عاطفة ابوية جارفة تجعله يلازم العش لحماية صغاره والاعتناء بهم ولا يكاد يغادره طيلة الأسابيع الأربعة الأولى من عمرهم .

وقد حصل علماء مركز ابحاث ماريلاند على نتائج مشجعة، وهم يرون ضرورة الاستمرار في عمليات تربية صغار العقاب الأصلع واطلاقها في بيئاتها الطبيعية، ويحذرون من احتمال عودة احوال هذا الطائر إلى التدهور إذا توقفت هذه السياسة، لأنه لم يعد قادرا على حماية نفسه ضد الاخطار البيئية المختلفة. ويقولون ايضا، انه لم يعد رمزا لقوة الدولة فقط، بل عنوانا لقضية كبيرة هي قضية كل انواع الحياة التي يتهددها خطر الانقراض .

ومن المفارقات العجيبة، أن يرتفع صوت ينعي على الامريكيين اختيارهم العقاب الأصلع رمزا للدولة، وأن يكون هذا الصوت لأحد الرؤساء الامريكيين، هو بنيامين فرانكلين، الذي كتب رسالة إلى ابنته يطعن في (اخلاقيات) الطائر الرمز الذي لا يعرف شرف الكد من اجل كسب عيشه، فهو قاطع طريق، ولص طعام .. فاغلب طعام العقاب الأصلع من السمك . ومن عاداته أن يتربص بصقر السمك وقد رآه صاد لنفسه سمكة من الماء وطار بها، وإذا به يتبعه، فيرتفع اليه، ويسد عليه مسالكه، حتى إذا أرهقه، اضطر الصقر إلى أن يسقط سمكته، فيهوي إليها العقاب كالسهم ويلتقطها وهي في الهواء !! ■

أضواء حول ضرب الأمثال في القرآن الكريم

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم السايح - قطر

المثل - بكسر الميم - والمثل - بفتح الميم - والمثيل: كالشبه، والشبه، والشبيه لفظا ومعنى. والجمع: امثال.. والمثل - بفتح الميم والثاء: الحديث.. وقد مثل به، وامتثله، وتمثله، وتمثل به.. وقد يعبر بالمثل والشبه عن وصف الشيء. نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (محمد / ١٥)..

وقد يستعمل المثل عبارة عن المشابه لغيره، في معنى من المعاني. اي معنى كان. وهو اعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أن الند يقال فيما يشاركه في الجوهرية فقط، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة. والشبه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط. والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط، والمثل عام في جميع ذلك. ولهذا لما اراد الله نفي الشبيه من كل وجه، خصه بالذكر فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى / ١١).

والمثل مأخوذ من المثال. وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول. والأصل فيه التشبيه، فقولهم: مثل بين يديه إذا انتصب، وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وما مواعيدها الا الأباطيل

ويقول ابن السكيت « المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ. شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره».

ويرى العلماء: أنه لابد أن تجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: ايجاز اللفظ، واصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة.

والفيروز ابادي يؤكد أن المثل: «عبارة عن قول يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين احدهما الاخر ويصوره»، والكلام، إذا جعل مثلا، كان اوضح للمنطق، وآنق للسمع، واوسع لشعوب الحديث.

والأمثال اقوال سائرة مسلمة، سيقت للعظة والاعتبار، مع الايجاز والاحكام والدقة والتركيز، وقضايا الأمثال مما تتظاهر العقول البشرية على التسليم بها. فإذا ما عرض للناس في حياتهم امر من الأمور التي تدخل في مفهوم احد الامثال، تمثلوا به فتأنس النفوس لذلك، والأمثال اقوى اساليب البيان، واقدرها على التعبير، والتصوير لأنها:

أولا: تعتمد الأمثال على التشبيه الذي هو من اشرف كلام العرب، وبه تكون الفطنة والبراعة عندهم، والتشبيه كذلك، يزيد المعنى وضوحا، ويهبه تأكيدا، وهو كما يقول الجرجاني: «يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين، حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الاشخاص الماثلة، والاشباح القائمة، ينطق لك الاخرس، ويعطيك البيان من الاعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام الاضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين».

ثانيا: ليست الأمثال تشبيها مفردا، وانما هي من قبيل التمثيل، فإن مضاربها تكون عادة من المعاني المعقولة التي يصعب تصورها، فيلجأ المتكلمون إلى استحضار امور حسية، تكون مأنوسة للمخاطبين، معروفة لهم، وهي موارد الامثال، فيتجلى الخفاء عن المعاني، وتبرز وجوهها سافرة، كضوء النهار، ولذلك نجد عبدالقاهر الجرجاني يقول: « إن انس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها اياه إلى شيء

آخر هي بشأنه اعلم، وثقتها به في المعرفة احكم، نحو ان تنقلها عن العقل إلى الاحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طريق الحواس او المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر، والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام».

ومن ثم كان الغرض من التمثيل : تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، وابراز المدركات المعقولة، والمعاني الخفية، في صورة مجسمة أو مألوفة، لبيان صفتها وحالها، أو تقرير معانيها، وتمكينها في النفس، أو لبيان امكان وقوعها ، وتحققها. وغير ذلك من الأغراض .

ويبين ابن مسكويه وظيفة التمثيل وضرب الأمثال فيقول : «إن الامثال انما تضرب فيما لا تدركه الحواس مما تدركه، والسبب في ذلك انسنا بالحواس، والفنا لها منذ أول كوننا ولأنها مبادىء علومنا، ومنها نرتقي إلى غيرها. فإذا اخبر الانسان بما لا يدركه، أو حدث بما لم يشاهده وكان غريبا عنه طلب له امثالا من الحس، فإذا اعطى ذلك انس به، وسكن اليه، لالفه له، فأما المعقولات فلما كانت صورها الطف من ان تقع تحت الحس، وابعد من ان تمثل بمثال الحس الأعلى جهة التقريب، صارت احرى ان تكون غريبة غير مألوفة، والنفس تسكن إلى مثل وان لم يكن مثلا، لتأنس به من وحشة الغربة، فإذا الفتها وقويت على تأملها، بعين عقلها، من غير مثال ، سهل حينئذ عليها تأمل امثالها » .

وأبو هلال العسكري العالم اللغوي يذكر أنه : « ما رأى حاجة الشريف إلى شيء من ادب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد، والمثال، والشذرة، والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما، ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرا في النفس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاستظهار به أوان المجادلة، في ميادين المجادلة، وإنما هو في الكلام، كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، والتسهيم في البرد » .

وإذا كان ما ذكرناه عن عبدالقاهر الجرجاني يمثل رؤية عالم من علماء البلاغة، وما ذكرناه عن ابن مسكويه يمثل رؤية عالم من علماء الاخلاق والتهذيب، وما جاء عن ابي هلال العسكري هو رؤية عالم من علماء اللغة، فإننا نجد أن عالما من علماء التفسير يقول :

«ولضرب الامثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفي في ابراز خبيئات المعاني، ورفع الاستار عن الحقائق، حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الالد، وقمع لسور الجامح الابي، ولأمر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله، وفشت في كلام رسول الله ﷺ ، وكلام الانبياء والحكماء»..

ومن الجوانب التي تفيض بالحكمة والاعجاز، جانب الامثال في القرآن الكريم، فقد صرف الله في القرآن من كل مثل، وضرب للناس امثالهم، فكان ذلك لونا من الوان الدعوة، ووجها من وجوه البيان، والكشف عن المعاني المرادة. إذ ان المثل يقرب الأمر المعنوي المراد، والفكرة التي يراد لها ان تغزو العقل والقلب .

والأمثال في كتاب الله تشكل جانبا من جوانب حجته البالغة على خلقه فهي منارات تمد اشعتها على ما قبلها، وما بعدها من آيات .

ولقد ضرب الله كثيرا من الامثال في القرآن الكريم، حتى أن السيوطي يذكر في كتابه : «الاتقان في علوم القرآن» : «ان من اعظم علوم القرآن امثاله»، ودعا رب العزة سبحانه وتعالى الناس، ان يستمعوا إلى الأمثال ويتدبروها، ويتفكروا فيما تشير إليه، من كرائم المعاني ويعقلوا ما توحي به من غوالي الحكم والمواعظ.

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ (محمد / ٣). فالله قد ضرب الأمثال للناس، واقام الشاهد من انفسهم، ومما حولهم على انه الواحد الأحد، رب كل شيء وخالقه، وبين في الامثال الخير وما يؤدي إليه، والشر وما يعود على صاحبه منه، وخاطب الذين يسمعون ويبصرون ويستعملون عقولهم في التذكر والتفكر والتدبر .

ونظرة في الآيات الكريمة التي ورد فيها ضرب الامثال وتعريفها، تدلنا على التسلسل المنطقي في الكتاب العزيز، وليس غريبا هذا إذا عرف الانسان أن أولى خصائص العقيدة الاسلامية، ان تربط بين المنطق الانساني، وبين عقيدته الواحدة الحاكمة الشارعة، وبينما تصورت العقائد الاخرى، والمبادىء

الضـالـة : النـاس قطيعا مـن البهـائم، لا ينبغي لهم ان يفتحـوا اعينهم على حالهم، جاء الاسلام ليزيل الركام عن وسائل المعرفة فقال تعالى : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النـور / ٣٥) .. لأن النفـس إذا لم تهتـد إلى ضروب المغيبـات والمعنويات كان من اللطـف بها تبصرتها بضروب المحسوسـات والماديات.

قال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ (الاسراء / ٨٩) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ (الـروم / ٥٨) فأنـت ترى ان الله سبحـانـه وتعـالى، يرفـع مـن مكان المثـل في القـرآن. وتلمـس هذا في كلمـة «صرفنا» ومـا فيها من تـأكيد وشدة. وكـذلك مـن قوله «مـن كل مثل» تدليل على التعميم والشمول وتستمر آيات الأمثال تخاطب العقـل لعله يتـذكر، قـال تعـالى : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (ابراهيم / ٢٥). فضرب الأمثال وسيلة للتـذكر، والتذكر - كما يقول العلماء - يؤدي إلى المعـرفة والمعرفة تقود إلى الله تعالى.

وهل كل الناس يسمعون ويبصرون ؟ وهل كل الناس يتذكرون ويعقلون ؟ لـو كان ذلك لما كـان الحال هو الحال .. ولكن مـا اكثر الذين لهم ابصار، لا يبصرون بها، ولهم عقول لا يعقلون بها، ولهم افئدة لا يفقهون بها. قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك / ١٠).

وقد افادت البحوث والتجارب : ان العالمين بوظائف حواسهم وعقولهم وقلوبهم، هم الذين يعقلـون آيات الله ويعلمون ما فيها، قـال تعـالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت / ٤٣) وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر / ٢١) .. تلـك غايـة الأمثـال في القرآن الكريم: التذكر - والتدبر - والتفكر.

وقد سيقت الامثال في القرآن الكريم لتحدث في النفوس فرحة ورغبة، او تستثير فيها هيبة ورهبة، او ترشدها إلى خير، او تكفها عن شر، او تكشف لها عـن حقيقة تجهلها، او لا تدري مـا كنهها. سيقت لتهدي الحائر والضال، وتكشـف الغشاوات عن البصائر والعيون .. فكـل مثل مـن امثال القـرآن، يشرح للناس حقيقـة من حقائق الحيـاة، أو ضربا مـن عجائب الطبيعـة، أو حجة دامغـة لاثبات امر، أو تقرير مبدأ، او احقاق حق، أو ابطال باطل.

ويقول الحكيم الترمذي : «اعلم ان ضرب الامثال لمن غاب عن الاشيـاء، وخفيت عليـه الاشيـاء، فـالعباد يحتاجون إلى ضرب الامثـــال، فضـــرب الله لهم مثلا مـن عند انفسهـم، لا من عنـد نفسه ليـدركوا ما غاب عنهـم .. فالأمثال نموذجـات الحكمة لما غاب عـن الاسماع والابصار، لتهدي النفـوس بما ادركت عيـانا، فمـن تـدبير الله لعبـاده، أن ضرب لهم الامثـال مـن انفسهـم، لحاجتهم اليهـا، ليعقلوا بها ، فيـدركوا مـا غاب عـن ابصارهـم واسماعهم».

وقـد لخص الامـام الزركشي، الغـرض مـن ضرب الأمثـال في القرآن الكريـم، فقال : «ضرب الله الأمثال في القرآن يستفـاد منه امـور كثيرة، التـذكـر، والـوعـظ، والحث، والـزجـر، والاعتبـار، والتقريـر، وتقريب المراد للعقـل، وتصويره في صـورة المحسوس، بحيث تكـون نسبته للعقل كنسبة المحسـوس إلى الحس، وتأتي امثال القرآن، مشتملة على بيـان تفاوت الاجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق امر او ابطال امر. فالأمثال مرآة النفس، والأنوار مرآة القلب، وان الله تعالى جعل على الأفئدة اسماعـا وابصارا، وجعل في الرؤوس اسماعا وابصارا، فما ادركت اسماع الرؤوس وأبصـارها، أيقن به القلب، واستقرت النفس، واتسعت في علم ذلك».

وإذا استقرأنـا الأمثال القرآنية، وجـدنا أنها قد صيغـت من طبائع النفوس البشرية الراسخة، ومن النواميس الكونية التي لا تتغير، والمظاهر الطبيعية الثابتة، التي تحيط بالناس في مختلف العصور والبيئات، ذلك أن القرآن باق إلى ما يشاء الله، وكتاب هذا شـأنه، حـري أن تكون امثـاله محكمـة كسائره، وأن تقـوم على الحقائق الثابتة وحدها.

وللأمثـال أهميتها اللغويـة والبلاغيـة والأدبية، ولهذا ادت دورا بارزا ، في تعميق اللغة العربية، وحفظها، ونموها واتساعها، وشمولها، وتبلورها، وقد فطن النحاة إلى ذلك، فجاءت مؤلفاتهم زاخـرة بالاستشهـاد بالأمثـال لما لها من قـوة وتأكيـد . وبما ان الأمثـال اشتملـت على الكنـايـات، والمجـازات والاستعـارات، والتشبيهـات ، والطباق، والجنـاس، والتـوريـة، وغير ذلك. فقد استفادت منها البلاغة واستمدت منها النضوج والعطاء، ولاشك أن الأدب العـربي قد استفـاد من الأمثـال القـرآنية فقـد امدتـه بتراكيب لفظية بديعة.

وما زالت البحوث والدراسات تستمد من امثال القرآن الكريم والسنـة النبويـة المقـومات والأصـول، وتكشـف عـن جديـد يأتـي بجديد ■



قصة قصيرة

خيمة

لم يجد الصديق ما يقوله، أدرك أن أية كلمة عزاء يواسي بها صديقه لن تجدي نفعاً، بل لن تتخطى صيوان الأذن، الحدث جلل، والمصاب أليم، والفقيدة تعني كل شيء عند زوجها، همس إليه في محاولة لالهاء الرجل عن التذكر، وتذكيره بضرورة الانتباه لنفسه، وقد استحال إلى درويش :

– الحي أبقى من الميت.

– كلام يقوله من لم ينله المصاب.

– ألست مؤمناً بالله ؟

– لولاه لجننت.

– ما من حي إلا ومآله الموت.

– ما أصعب أن يُعقل العقل أمام انفلات العاطفة.

– لست أول من ترمل يا سرحان.

– لم يكن فقد زوجة ما حل بي.

– سلّم أمرك لله.

– كانت هي الأم والإبنة والصديقة.

– في الله العوض.

– لشد ما يحزنني بعد رحيلها اغضابي لها أحياناً.

– طبيعي أن يحدث ذلك بين الزوجين.

– كانت دائماً تقابل غضبي بالهدوء .

– ....

– كان وفاؤها منقطع النظير لي ولحياتنا الزوجية.

– معظم النساء كذلك.

– لم تكن هي كالأخريات.

– ماذا لو مضت على عشرتكما معاً سنوات كثيرة ؟

– العمر لايحسب بالسنين، حقاً ان عمر زواجنا لم يتجاوز السنتين، ولكنني أحس كأنها معي منذ طفولتي.

– حرام أن تفعل بنفسك ذلك.

– يؤلمني أن أعيش بعدها وحيداً.

– ليتغمد الله الفقيدة «فضيلة» برحمته.

غادره الصديق، لبث سرحان في جلسته بجسده، خيل إليه صوت زوجته يتناهى



الوهم

بقلم الأستاذ : جهاد عبد الجبار الكبيسي - مصر

إليه من آخر الشقة، غامت عيناه بالدموع وهو يستحضر وجودها بحركاتها وضحكاتها، ارتسم مشهد لقائهما الأخير أمام عينيه وهي مستلقية على سرير المرض اثر اصابتها بالسرطان.

- عدني يا سرحان بشيء.

- تماثلي للشفاء وعمري كله طوع بنانك.

- أقصد بعد موتي.

- بعد الشر عنك يا أحب الناس.

- لو مت فعاهدني على ..

- لك ما تريدين..

- عدني أن تحفظ خاتم زواجنا.

- أرجوك كفى.

راحت أناملـه تتحسس بحنو وحب خاتمها الذي وضعه في خنصره جوار خاتمه الموضوع في بنصره «ويلي .. ما أبشع وحدتي بعد رحيلك، ولم يعد لي منك يا رفيقة العمر غير هذا الخاتم الذي اضعه في اصبعي، ليذكرني بك كلما حركت أصابع يدي، لله درك يا أكرم النساء، ما أوفاك وأنبلك، سامحيني يا أشرف النساء إذ نكثت العهد وانتزعت الخاتم من اصبعك، ولبسته، فأنا أعلم مدى حرصك على الحفاظ عليه، ولم ارك للحظة واحدة تخلعينه، كان معانقاً اصبعك دوماً، ولن أنسى ما حييت يوم أن اصيب بنصرك بجرح غائر بسكين المطبخ، وهرعت لمداواتك، لحظتها سألتك أن تخلعي الخاتم لأتمكن من تطبيب الجرح، فصرخت بانزعاج : «لا، يومها تمنيت لو أني احتويتك وطرت بك في السموات لاشهد العالمين جميعاً على اخلاصك».

رفع يده، نظر إلى خاتمها تساقطت الدموع من عينيه همس قائلا. «ذلك كل ما بقي لي منك يا حبيبة العمر، وقد كنت ملء العين لأيام أربعة مضت».

تقارب إبهام يمناه ووسطاها، احتضنا خاتمها، أداره في اصبعه، ثم استله من خنصره، قرّبه من عينيه، أبعده عن عينيه، وهو يتأمل باطنه، «لو علم هذا الخاتم في اصبع أي انسان مخلص كان لما ارتضى أن يـ ....».

توقف عن محاورة الخاتم، وقد اغبشت الرؤية في عينيه بعد امتلائهما بالدموع، أطبق أجفانه، تدحرج الدمع، صفت الرؤية في عينيه. وهو يتأمل الخاتم ويدقق النظر في الكتابة المنقوشة في داخله، أحس كأن مطرقة حديد تهوي على رأسه. حملق في باطن الخاتم مذهولًا، كادت عيناه تنكران ما تراه، لولا أن الواقع أمامه يصرخ، وقد حُفِرَ في داخله عبارة «غ ١٣ سبتمبر». ■

تنمية انتاج القمح في الدول العربية

بقلم: ماريا تدسكو زمارانو - سورية

يشكل اتساع الفجوة الغذائية للحبوب في الوطن العربي خلال العقدين الأخيرين خطراً يتعدى الأمن الغذائي بمفهوم العجز إلى الأمن القومي، مما يدعو إلى اليقظة وحتمية الحل العربي لتنمية القطاعات الانتاجية الزراعية لاسيما الحبوب كونها مصدر الغذاء الرئيس للانسان العربي، وذلك من خلال استراتيجية ناجحة يتم صياغتها للتصدي لتلك المخاطر وتحجيم آثارها السلبية.



زراعة القمح تشكل احدى الركائز الرئيسة للأمن الغذائي.

* مستشرقة إيطالية تقيم في سوريا.



والسـؤال الــذي يــطــرح نفســه هـنــا هو كيــف جــاءت طريـقــة اعـداد الاستراتيــجـيــة وهل تجاوبت معها الدول العربيــة أم لا ؟

نقول في البداية أن خطط تنفيذ الأمن الغذائي العربي قد تعثرت، وذلك لعدة أسباب أهمها : أن الخطة افترضت تطابق وجهـات النظر حـول قضايـا الأمـن الغذائي بصفـة عامـة والحبـوب بصفة خـاصة. كما افترضـت وفرة الموارد الماليـة النفطيـة لتمـويــل تنفيـذ المشروعـات، ولكـن مــع اعــلان الاستراتيجيـة كـان الغـرب الصنـاعي قـد رتـب اوضـاعـه الاقتصادية وصدر تضخمه المتـزايد بحيث قضى على معظم الفوائض المالية.

ويرتكـز العمل العربي المشترك في مجال انتـاج الحبوب على بذل جهد كبير في سبيل مجابهة الأوضاع المتردية لانتاج الحبوب في ضوء المشاكل والعقبات التي تواجهه. وإلى جانب ذلك لابد من الوقوف عند مـواطن الخلل في سياسة التنسيق والتعاون العربي في المجالات كافة لاسيما انتاج الحبوب.

أما ما هي مبررات هذه الاستراتيجية في ضوء المستجدات الاقتصاديـة والسياسية، فانـه يمكن حصرها على السـاحة الدولية على النحو التالي :

١-عندما تصبح أوروبا موحدة فمن المتوقع أن تلغي دولها الدعم المخصص لقطاع الزراعـة والبالغ نحو ٢٢ مليار دولار بما يـؤثـر كثيراً على خفـض مسـاحـة الحبـوب الغذائية وارتفاع اسعار التصدير وقد تتجاوب الولايات المتحـدة الأمريكيـة مع هـذه السياسـة فتلغي دعمهـا المماثـل الذي يبلـغ ٢٦ مليار ممـا يؤدي إلى انخفـاض انتاج الحبـوب ومن ثـم ارتفاع في مستـويات اسعـارها التصديرية.

٢-هناك تـركز واضح في زراعة القمـح حيث تنتج الـولايات المتحدة وكندا واستراليا ودول أوروبا الغربية ما نسبته ٣٥ ٪ من الانتاج العالمي ممـا يعضد دورهم في السوق، وتكاد هذه المجموعـة أن تحتكر تجارة القمح إذ تمد هذه الدول الســوق العالميــة مجتمعة بما يـوازي ٩٢٪ من حجم تجارة القمح (٣٦٪ ، ١٥٪ ، ١٠٪، ٣١٪ على الترتيـب) وهـذا بطبيعـة الحال من شـأنـه أن يهــدد بشكل مباشر الأمن الغذائي القـومي لجميع الدول التي


ارامكو السعودية

تعتمد على السوق في سد احتياجاتها من تلك المادة.

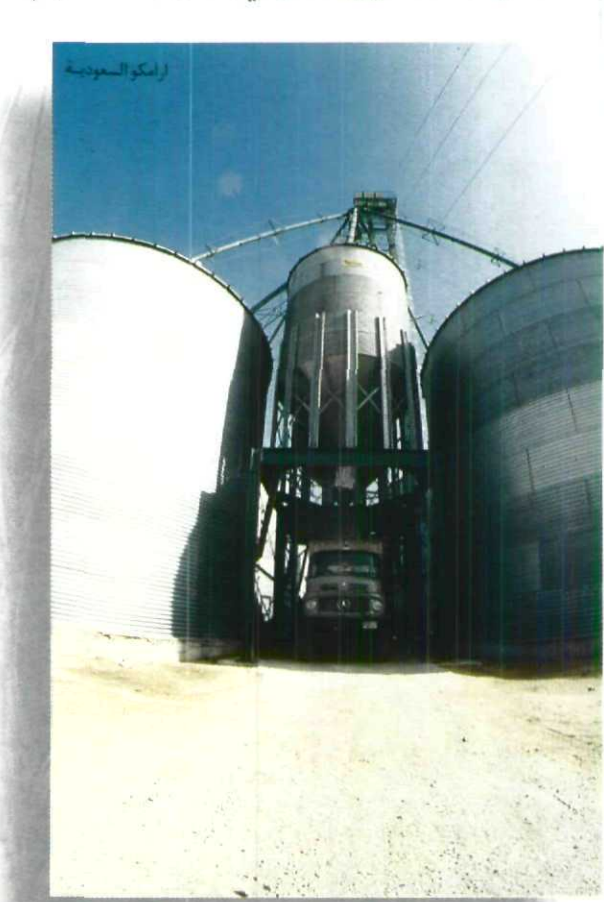
٣- إن الزيادة المطّردة في عدد سكان العالم، يقابلها انحسار المساحات المخصصة لانتاج القمح فخلال الثمانينات انخفضت المساحة من ٢٤٠ مليون هكتار عام ١٩٨٠م إلى نحو ٢٣١,٥ مليون هكتار أي بمقدار ٨,٥ مليون هكتار، ويأتي هذا الانخفاض نتيجة منافسة المحاصيل الأخرى على المساحات المزروعة ونتيجة لبعض السياسات الغربية تجاه تقليص المخزون، وبالتالي تقليص مساحة الحبوب، اضافة إلى أن الظروف المناخية غير المواتية كالجفاف مثلاً قد أثرت سلبياً على أجزاء من المناطق المنتجة في بعض السنوات.

٤- يعد الاتحاد السوفيتي سابقاً أكبر مستورد للقمح في العالم، ونتيجة للمستجدات العالمية فمن المتوقع أن يتأثر انتاجه للحبوب، ويتضاعف اعتماده على السوق العالمي، مما قد يترتب عليه تأثيرات بالغة على كفاية حجم المعروض في السوق وبالتالي على أسعاره.

٥- انحسار المساحة المخصصة لزراعة القمح سينعكس مباشرة على المخزون العالمي الاستراتيجي ومن ثم المعروض المتاح للسوق العالمية، وسيكون لهذا انعكاسات سلبية على الأمن الغذائي العربي.

أما على الساحة العربية فيتمثل تأثير الفجوة الغذائية عليها بمايلي:

تؤدي المبررات الخارجية السابقة إلى عوامل ضاغطة يصعب على الاقطار العربية منفصلة أو مجتمعة السيطرة عليها أو التحكم فيها أو ضبطها. وبالتالي فمصادر الحصول على القمح غير آمنة وغير مستقرة، وفي معظم الحالات يترتب على ذلك تبعية اقتصادية لتلك الدول الكبرى المنتجة للقمح.



حين يحصد محصول القمح يوضع في مخازن خاصة قبل نقله إلى الصوامع

- يمتلك الوطن العربي الطاقات والامكانات الاساسية للتنمية، لكن جزءاً لايستهان به غير مستغل بالشكل الأمثل حتى الآن. فهناك أرض لم تزرع تزيد مساحتها عن ١٠ ملايين هكتار. كما أن هناك الموارد البشرية المدربة التي لم يستغل الجزء الكبير منها نتيجة العمل في قطاعات أخرى لاسيما الخدمات. وهناك أيضاً الموارد المالية الوفيرة لكنها غير موجهة لإحداث تنمية زراعية رشيدة تفرضها أوضاع الأمن الغذائي المتردية على الصعيد العربي.
- لايحظى النشاط الانتاجي المتعلق بزراعة الحبوب بالاهتمام الكافي في عدة أقطار منتجة رئيسة له وذلك لسيادة فكرة انخفاض الربحية النسبية له مقارنة بالمحاصيل الأخرى. وقد يكون هنا مناسباً ازاحة السياسة التسعيرية للحبوب وغيرها من السياسات الاخرى في اطار اصلاحي لاسيما في الأقطار العربية التي يزداد فيها التدخل الحكومي لصالح المستهلكين. وقد قطعت بعض الدول شوطاً لابأس به في هذا الاتجاه ويلزم التأكيد على أهمية الاستمرار في ذلك للوطن العربي.
- تخلف المستوى التكنولوجي المطبق في الزراعة العربية في أغلب الدول العربية وهذا يتطلب اهتماماً مستمراً وتمويلاً لازماً حتى يتم رفع كفاءة ظروف الانتاج في الوطن العربي.
- غالباً ما ترتبط المبررات الداخلية والخارجية لتنمية انتاج الحبوب بمفاهيم الحرية والاستقلال الوطني والاستقرار. والعلاقة بين الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والاجتماعي أمر جوهري لنمو الانتاج واستقطاب الرساميل داخلياً وخارجياً.
- على الرغم من قلة الموارد المائية العربية وتدنيها فإن المتاح لايستغل بطرق اقتصادية رشيدة هذا فضلاً عن عدم

استغلال مياه الأمطار باقامة السدود وعدم استغلال المياه الجوفية وجميعها من القضايا الجوهرية في تنمية قطاع زراعة الحبوب.

- يعتمد تحقيق الاستقرار الاجتماعي في المقام الأول على توفير الاحتياجات الغذائية الضرورية والخبز هو الغذاء الاساس للمواطن العربي. وتأمينه يحقق الاستقرار الذي تنشده كل دولة.
- يلاحظ تدني الانتاجية الهكتارية لمعظم محاصيل الحبوب باستثناء مصر والسعودية. فقد بلغ متوسط الانتاجية عام ١٩٩٠م للدول العربية كلها ١,٢ طن/هكتار وللدول النامية ٢,٣ طن/هكتار والدول المتقدمة ٣,١ طن/هكتار هذا من جهة. ومن جهة ثانية تختلف المساحة المزروعة من سنة لأخرى وغالباً ما يكون ذلك في اتجاه تقلص المساحة أو ثباتها ضمن فترة زمنية. وهذا وذاك يتطلبان النهوض بانتاج القمح أفقياً وعمودياً على حد سواء وكذلك الحبوب المهمة الأخرى.
- لاتبدو العلاقة بين معدلات نمو انتاج محاصيل الحبوب في معظم الأقطار العربية، ومعدلات النمو السكاني بها في صالح هذه الدول، فالتزايد السكاني لايقابله نمو متزايد في الانتاج مما يجعل أمر تنمية هذا القطاع عملاً ملحاً وضرورياً.



سنابل القمح خلال فترة نضوجها

إن احداث تنمية أو وضع استراتيجية تنمية لانتاج الحبوب يجب أن ترتكز في رأينا على مقومات اساسية تتمثل فيما يلي:

أولاً: تأسيس مشروعات البنية التحتية المتعلقة بزراعة الحبوب.

ثانياً: تعبئة الموارد الاقتصادية الطبيعية والبشرية واجتذاب الرساميل ذات الصلة بمجال انتاج الحبوب.

ثالثاً: ترشيد الاستهلاك على أساس أنه الشق الثاني لتقليص الفجوة.

رابعاً: تعبئة وحشد المدخرات ومصادر التمويل بهدف توفير استثمارات كافية.

خامساً: إتاحة مناخ الاستقرار بمعناه الواسع.

سادساً: مراعاة سياسات تخزين الحبوب الرئيسة، وكذلك السعات التخزينية الكافية وأساليب التخزين المناسبة.

سابعاً: تقليص الفاقد لمختلف المراحل بدءا من العملية الانتاجية ومروراً بالتسويق والتصنيع وحتى المستهلك النهائي.

ثامناً: اعداد وتنفيذ مجموعة السياسات الاقتصادية بما فيها الزراعية التي تعمل على تحرير الانتاج والأسعار والتجارة من معظم القيود.

تاسعاً: توجيه الاستثمارات في مجال انتاج الحبوب نحو أفضل استعمالاتها البديلة. بمعنى أن يتم تخصيص الاستثمارات على أساس الأهمية الاستراتيجية لمحاصيل الحبوب ثم توجيه هذه الاستثمارات على اساس الأهمية الاقتصادية.

عاشراً: تهيئة الاطر والهياكل التنظيمية والمؤسسية والادارية بما يتناسب واحداث تنمية شاملة في قطاع الحبوب.

هذه باختصار المقومات الأساسية لوضع استراتيجية تنمية لانتاج الحبوب التي تتطلب التنسيق والتعاون الحقيقي، مع اختيار صيغ أخرى غير التي اثبتت الخبرة السابقة عدم فاعليتها نظراً لعدم واقعيتها وعدم قابليتها للتطبيق العملي، واساس هذه الصيغ يتمثل في التعامل مع قضايا التنمية الاقتصادية في معزل عن العلاقات السياسية بين الدول ما أمكن ذلك ■

الأدب العربي الحديث والمذاهب الأدبية في الغرب

بقلم : د. محمد مصطفى هدارة - مصر

تعرض العرب منذ الحملة الفرنسية على مصر والشام في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي لهزة عنيفة، اذ فتحت منافذ الحضارة الغربية لتتسلل الى حياة الامة العربية المسلمة، فظهر التناقض واضحا بين حياة مزدهرة متحضرة في ظاهرها، وحياة يرين عليها الخمول والتخلف، بعد ان ظلت حبيسة الاحتواء العثماني، يكاد لايسمح لها بالتطور في علومها وصناعاتها، او في عناصر ثقافتها، ولا يتاح الاخذ بأسباب المعاصرة ووسائلها.

فلما شدت الحملة الفرنسية الانتباه الى حضارة الغرب، فظهر هذا التمزق بين التمسك بالتراث والعكوف عليه دون غيره، او الاخذ بالمعاصرة على نمط غربي بسبب الانبهار بالحضارة الغربية بكل ما فيها من مظاهر براقة، ووسائل مريحة، وتقدم هائل في الحياة الاقتصادية، وفي الصناعات والفنون، حتى وقر في عقول اسلافنا في ذلك الزمان ان تخلفنا راجع الى انطوائنا على تراثنا، وانه لاسبيل الى التقدم بغير قطع ما بيننا وبين ماضينا بكل ما فيه من تراث، والأخذ بأسباب الحضارة الغربية.

وكان الرواد الاوائل لحركة التجديد او المعاصرة في شتى نواحي الفكر العربي، بدءا من رفاعة الطهطاوي إمام اول بعثة طلابية مصرية ارسلت الى فرنسا في اوائل القرن التاسع عشر الميلادى، ومن تلاه من امثال الشيخ جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وخير الدين التونسي، يقيمون علاقة تلاؤمية بين التراث والمعاصرة على نهج غربي، بل كان لهم الفضل في الكشف عن كنوز التراث التي توارت في ركام السنين، بجانب ما اكتشفوه من اساليب الحياة الغربية النافعة في التعليم والثقافة بوجه عام، والنظم السياسية والإدارية والاقتصادية. وبدأت طلائع المثقفين الذين درسوا اللغات الاجنبية في ذلك الوقت ينهلون من الآداب الاوروبية السائدة مقتبسين ومترجمين. وقد بث رفاعة الطهطاوى الافكار الجديدة في كتابيه الاساسيين: تخليص الابريز في تلخيص باريز، الذى صدر في عام ١٢٥٠ هـ ومناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب العصرية الذي صدر سنة ١٢٨٧ للهجرة، وكان واعيا بضرورة التمسك بالعقيدة في مواجهة الغزو الفكرى الغربي، فهو يقول «البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة في العلوم الرياضية والطبيعية، وما وراء الطبيعة، اصولها وفروعها، ولبعضهم نوع مشاركة في بعض العلوم العربية، وتوصلوا الى فهم دقائقها واسرارها.. غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم، ولم يسلكوا سبيل النجاة، ولم يرشدوا الى الدين الحق ومنهج الصدق، كما ان البلاد الاسلامية قد برعت في العلوم الشرعية والعمل بها، وفي العلوم العقلية، واهملت العلوم الحكمية بجملتها، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه، وجلب ما تجهل صناعته».

ويركز خير الدين التونسي في كتابه «اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك» على قضية اساسية وهي ضرورة الاقتباس من الغرب المتحضر لا المستعمر، فلا ينبغي ان نرفض كل ما عند الغرب، ولا ينبغي في الوقت ذاته ان نأخذ كل ما عنده.

ولم يستمر هذا الموقف المتوازن طويلا؛ فلم يلبث ان ظهر جيل يتطلع الى الفكر الغربي في انبهار، ويتمثل الحياة الاوروبية بكل ما فيها من عناصر الخير والشر، أو سمات الجدية والانحلال، ويغرق في هذا التمثل الذي تقوده اليه المعاصرة، ممزقا كل وشائجها بالتراث، راضيا من الغرب بكل ما يقطعنا عن اصولنا ويدمر شخصيتنا وانتماءنا ويجعلنا امة مستهلكة لبضاعته في شؤون الحياة المادية والفكرية على السواء.

وقد كان الادب في مقدمة حصاد الفكر الذي أريد له التجدد والتطور على نمط اوروبي وواجه الشعر بصفة خاصة الحاحا شديدا من دعاة التغريب الذين ارادوا وصله بالمذاهب الادبية في

الغرب. فقد دعا «بولس شحاده» في مجلة الهلال عام ١٩٠٦م الشعراء العرب الى وجوب اقتفاء اثر الشعراء الاوروبيين في انشاء الشعر غير المقفى كما فعل ملتون وشكسبير في شعرهما المرسل.

ولكن هذه الدعوة التي تقتصر على التحلل من قيد القافية اتسع مداها لتشمل كل عناصر المضمون والشكل، وهذا ما دعا الشاعر الرصافي الى القول في عام ١٩٣٦م «نعم ان هنالك فريقا من اهل الادب يدعون الى التجديد في الشعر، وكلما حاولت ان افهم معنى صحيحا للتجديد الذى يدعون اليه لم استطع ولم افهم ماذا يريدون من التجديد، ثم استقر رأيي على ما استنتجته من اقاويلهم ان التجديد هو تقليد الغربيين في شعرهم وادبهم. مع ان الشعر هو الوحيد الذي يستحيل فيه التقليد (انظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق لعلي علوان ص ١٠٠).

وانتفى الانتماء عند بعض دعاة التغريب حتى انهم لم يعودوا يرون حضارة غير حضارة الغرب، وفي ذلك يقول «يوسف الخال»: «ان الحضارة الغربية هي حضارتنا بقدر ما هي حضارة الفرنسي والالماني والروسي. ونحن لاقيمة لنا، ولا مستقبل لنا في العالم العربي ان بقينا خارجها ولم نتبعها من جديد ونتفاعل معها ونفعل فيها، انها لنا ـ وهي نحن ـ بكل مآثرها وعيوبها، بكل قوتها وضعفها، وبكل ما تضن به او تعطيه للانسان في جيلنا وفي الاجيال التالية» (انظر مجلة شعر: عدد ١٥).

واذا نظرنا في تأثير المذاهب الادبية الغربية في ضوء امثال هذه الدعوات، ينبغي ان نقرر منذ البداية ان المذاهب الادبية لاتنشأ مصادفة، بل هي نتيجة طبيعية لأمرين لابد من تحققهما: الامر الاول وجود قاعدة فلسفية يبنيها المفكرون تحدد اصول النظرة التجريدية، والثاني وجود عوامل تطور في المجتمع من حيث نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، تتيح لتلك النظرة التجريدية فرصة السريان والتأثير. والمذهب الادبي ليس في الحقيقة غير تجسيد تعبيري للقاعدة الفلسفية المجردة.

وحين سادت في اوروبا في عصر النهضة الفلسفة العقلية التي تعتمد علي النزعة التقريرية التي يسميها الفلاسفة «الدوغماتيكية Dogmatic» وهي نزعة تتخذ العقل وسيلة لتقرير ما هو كائن بالفعل، وكذلك اعتمدت على فلسفة ارسطو التي ترتكز في نظرتها الجمالية على فكرة محاكاة الطبيعة، كان من الطبيعي ان ينشأ المذهب الادبي الكلاسيكي ليعبر عن النظريات التجريدية للفلسفة العقلية من جهة، ويعبر عن الفكر الارستقراطي في الحضارة الاوروبية التي كانت تتبع النظام الاقطاعي وتعتمد على الفئات العليا في السلم الاجتماعي، وتجعل المسافات بين الطبقات في هذا السلم ثابتة بحيث لايرتفع وضيع، ولا يتضع رفيع.

ولما كانت الآداب اليونانية واللاتينية قمة التراث الاوربي، وقد تحققت فيها فكرة محاكاة الطبيعة، اعتمدت مصدرا للمحاكاة في المذهب الكلاسيكي الذي ارتكز على العقل في نظرته الجمالية.

وقد حاول عشاق النموذج الغربي في ادبنا العربي الحديث نقل بعض مفاهيم الكلاسيكية واطلقوا على التيار الاحيائي الذي بدأت به نهضة الشعر في العصر الحديث وكان يتزعمه محمود سامي البارودي التيار الكلاسيكي، وهو لايمت اليه بصلة فالاحيائيون لم يضعوا بين اعينهم تراث اليونان ولا الرومان، بل تراثهم العربي الاصيل في عصور الازدهار والنضج وتخلصوا من عوامل الضعف والذبول التي اصابت الشعر العربي في عصور الانحسار، فعبروا عن نفوسهم وقضايا مجتمعهم وامتهم بأسلوب يترفع عن الركاكة والتكلف والتصنع البديعي. فاطلاق اصطلاح الكلاسيكية على اتجاههم خروج عن الحدود العلمية للمصطلح.

وكان من آثار الكلاسيكية الاوروبية دعوة الدكتور طه حسين الى تعليم اللغتين اليونانية واللاتينية، لا في الجامعة وحدها، بل في التعليم العام ايضا، حتى ينهض الادب العربي الحديث على غرار النهضة الاوربية، فينقطع عن تراثه العربي الاسلامي، ويرتكز على تراث لا توجد بيننا وبينه ادنى صله، وهو في معظمه نتاج وثنية ضالة مضلة. وقد سبق ان اهمل اجدادنا هذا التراث في عصر الترجمة في العصر العباسي لعدم ملاءمته لعقيدتنا وانتمائنا وفكرنا.

ومنذ عاد طه حسين من بعثته الى فرنسا وهو يحاول نشر الكلاسيكية الاوروبية، فكتب في عام ١٩١٩م بحثا عن الظاهرة الدينية عند اليونان، ثم نشر في السنة التالية كتابه «صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان» واتبع ذلك ترجمة كتاب ارسطو «نظام الاثينيين» ثم «قادة الفكر» وهم في رأية: هوميروس

وسقراط وافلاطون وارسطو والاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر. وكانت فكرة الكتاب نفسها احتذاء لكتاب «بلوتارك» الذى ترجم فيه لعظماء اليونان والرومان.

ومضى طه حسين في تأثره بالفكر الكلاسيكي الاوروبي، فاصدر في عام ١٩٣٩م كتابه «من الادب التمثيلي اليوناني» وترجم فيه ستة اعمال لسوفكليس، وكتب بعد ذلك بسنوات عن بعض ابطال الاساطير اليونانية مثل تسيوس واوديبوس.

وكثرت الكتابات حول الاساطير اليونانية في تلك الفترة فعرض «دريني خشبة» اساطير الحب والجمال عند الاغريق على صفحات مجلتى الرسالة والثقافة. وبدأ الشعراء يهتمون بتوظيف الاساطير اليونانية في اشعارهم، فقد نظم العقاد اسطورة اكاروس، واستلهم الشعراء الرومانتيكيون بعده كثيرا من الاساطير من امثال علي محمود طه ومحمد حسن عواد. بل ان بدر شاكر السياب يقول في العدد الثالث من مجلة شعر: ان اللجوء الى الخرافة والاسطورة من مظاهر الشعر الحديث المهمة. ونجد شعراء محدثين غير مستغربين يتأثرون بهذا الاتجاه ناحية التوظيف الاسطوري مثل الشاعر المصري عبد العليم القباني في قصيدته «اعترافات جديدة لأوديب» يقول فيها:

واذا بي وقد تسرب عمري

ومشى اليأس في العروق الضنينه

واعتلاني المشيب صخرة (سيزيف)

رفيقا في الرحلة الملعونة.

واتسعت قاعدة الاساطير في الشعر العربي الحديث بتأثير المذهب الكلاسيكي فلم تعد مقصورة على اليوناني منها بل شملت اساطير الامم القديمة. ولم يكن توظيفها فنيا خالصا عند بعض الشعراء، كما نتمثل في نقد «سهيل ادريس» احدى قصائد «يوسف الخال» بوصفه احد الوجوه المستعارة في الثقافة العربية، وان القصيدة صريحة التلهف على عهد الوثنية ورمزها الاله تموز.

كما استعانت مذاهب ادبية متعددة اعقبت الكلاسيكية والرومانسية بالاساطير والخرافات التي صارت رموزا ذات دلالات متباينة. وقد اشار الدكتور احسان عباس الى هذا التراث الاسطوري في الشعر العربي الحديث في كتابه «الشعر العربي المعاصر» وكذلك فعل اسعد رزوق في كتابه «الاسطورة في الشعر المعاصر» وغيرهما من الباحثين. ولا يغيب عنا اثر الفيلسوف «ديكارت Descartes» في المذهب الكلاسيكي بكتابيه «مقالة في الاهواء» و «خطاب في المنهج»، وهو يعرض فيهما اسلوب الوصول الى المعرفة او الحقيقة عن طريق الشك: «افكر فأنا موجود». وقد استعان طه حسين بمذهب «ديكارت» في دراسته للشعر الجاهلي وانتهي الى القول بأن الكثرة المطلقة مما نسميه ادبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وانما هي منحولة بعد ظهور الاسلام.

وكانت الملحمة او الشعر القصصي فنا ناضجا مكتملا في التراث اليوناني، وقد اشاد به ارسطو وشرح قواعده واصوله الفنية، ولهذا كان المذهب الكلاسيكي حريصا على احياء هذا الفن، برغم ان الزمان قد تغير، ولم تعد الحكايات الاسطورية التي تتحدث عن شخصيات خرافية ملائمة للحياة الاوروبية في عصر النهضة. ولهذا لم تنجح ملحمة (الفرنسياد) التي كتبها الشاعر الفرنسي «رونسار» على غرار الالياذة اليونانية، فانصرف الشعراء الكلاسيكيون الاوروبيون عن الملاحم. غير ان التأثير الغربي على ادبنا الحديث دفع كتابنا ونقادنا الى البحث عن اسباب خلو الادب العربي القديم من هذا الفن، وليس في ذلك اي بأس، فكل ميسر لما خلق له. وكان الشعر الغنائى عند العرب ارقى بكثير مما كان عند اليونان، بل ان ما كان عند اليونان من الشعر الغنائى يعد فنا بدائيا، ولم يثر ناقد اوروبى اسباب غياب الشعر الغنائى عند اليونان او تخلفه.

وقد اثمر الالحاح في اثارة موضوع الملاحم توجيها للشعراء العرب المحدثين بمحاولة الكتابة في هذا الفن، بعد ان انتهت اسباب وجوده منذ زمن بعيد، اضف الى ذلك ان مقوماته الفنية التي ازدهر على اساسها تصطدم بشخصيتنا وفكرنا وذوقنا الادبي، ولهذا لم تنجح محاولات كتابة الملاحم في ادبنا العربي الحديث، على الرغم من جنوح بعض الشعراء الى توجيهها توجيها اسلاميا، كما فعل احمد محرم فيما سماه (الالياذة الاسلامية). كذلك كان الامر بالنسبة للمسرح الذي كان نوعا ادبيا مفتقدا في ادبنا العربي القديم، ألح المجددون المطالبون بالنموذج الغربي على ايجاده في ادبنا العربي الحديث، وقد اجتاز رحلة طويلة من الترجمة والتعريب والاقتباس والتأليف، وكان الاتجاه الكلاسيكي مسيطراً الى حد بعيد على بدايات المسرح العربي ان لم يكن في الموضوعات والافكار، ففي بناء المسرحية ومغزاها وعناصرها الفنية ■

الكهرمان
نافذة شفافة على الماضي

بقلم: د. أحمد عبد القادر المهندس - الرياض

ليس من الغريب أن ترى حشرات محنطة أو كائنات أخرى حيوانية أو نباتية داخل الكهرمان Amber لفترات تقدر بألوف السنين. وتبدو هذه الحشرات أو الكائنات وكأنها سقطت لتوها في طبق أنيق من العسل الشفاف المتجمد. وتظهر هذه الحشرات بجميع تفاصيلها، وكأنها عينات نموذجية في متحف الطبيعة الذي ابدعه الخالق العظيم.

الكهرمان مادة طبيعية عرفها الانسان منذ زمن بعيد جداً، فقد وجدت عقود منه في مقابر الأغريق القدماء التي يرجع تاريخها إلى حوالي ٩٠٠ ق.م. وكان الكهرمان شائعاً عند الرومان ثم تداوله العرب بعد ذلك واستخدموه في صنع المسابح والحلي بشكل واسع، وقد جاء في تذكرة داوود عن الكهرمان ما يلي: «الكهرمان معناه رافع التبن، وهو صمغ أصفر يميل إلى حمرة يسيرة، صاف براق يجلب من بلاد جركس، وأجوده النقي الذي يرفع التبن إذا حك».

وواضح أن الكهرمان إذا حك بقطعة من قماش تولدت على سطحه كهرباء، يجتذب بها الخفيف من القش وغيره. وقد عرف اليونانيون الكهرمان، وعرفوا خاصيته المتعلقة بتوليد الكهرباء بواسطة الحك، وأسموه «الكترون Electron» ومنها اشتق اسم الكهرباء Electricity.

الكهرمان

الكهرمان عبارة عن احافير راتنجية تم افرازها من سيقان نباتات قديمة من فصيلة الصنوبر «اشجار صنوبرية». ويتميز الكهرمان بأنه مادة صلبة، صفراء اللون تميل إلى اللون البني، وهو شفاف أو شبه شفاف. والكهرمان ليس معدنا لأنه ناتج عن افرازنباتي، فهو مادة عضوية اساسها الكربون. وقد يكون لون الكهرمان صافياً أو تشوبه بعض الألوان وتتخلله بعض الخطوط المتعرجة، وفي بعض الأحيان يمكن رؤية بقايا نباتية قديمة أو حشرات انقرض نوعها داخل قطع الكهرمان. ومثل هذه القطع ذات قيمة علمية خاصة، كما أن الهواة يتهافتون على شرائها كعينات نادرة وثمينة. وتتفاوت قطع الكهرمان في أوزانها، ما بين جزء من الأوقية وعشرة ارطال، ولعل

مجموعة من الحشرات الاحفورية المتحجرة في احدى قطع العنبر التي عثر عليها في منطقة بحر البلطيق ويبلغ عمر هذه الحشرات ٤٠ مليون سنة وتعد هذه القطعة من القطع القليلة التي تبدو فيها الحشرات بأجنحتها الرقيقة ظاهرة للعيان



تكونت قطعة العنبر هذه بلونها المعدني من عصارة شجر الصنوبر، ويعود تاريخها إلى ٢٨ مليون سنة ووجدت في منطقة بجنوب بحر البلطيق.

ذبابة صغيرة تهجع في قطعة من العنبر الشفاف التي يزيد عمرها عن ٤٠ مليون سنة، وتبدو ملامح الذبابة شديدة الوضوح والدقة.

أكبر قطعة موجودة في العالم هي تلك الموجودة في المتحف الجيولوجي ببرلين.

خواص الكهرمان

الكهرمان عبارة عن راتنج Resin والراتنجات هي سوائل لزجة تفرزها أنواع من الأشجار والنباتات عندما تجرح. وتفرز هذه المادة من الجروح، فلا تلبث أن تتجمد وتحمي النبات من الأذى. ويشبه هذا ما يحدث عند الانسان عندما يجرح فيسيل منه الدم، لكن هذا الدم ما يلبث أن يتجمد أو يتجلط، وبذلك يقف سيلان الدم ويكون ذلك وقاية للانسان من النزيف. أما الصمغ Gum فهو سائل يخرج من الأشجار ويجف على شكل صمغ، وهو يشبه الراتنج Resin. ويعد الصمغ العربي واحداً من أشهر الصموغ، وهو يذوب في الماء، أما الراتنجات ومنها الكهرمان فلا تذوب في الماء. وعندما يسخن الكهرمان ما بين درجتي ٢٨٠° - ٢٩٠° مئوية تخرج منه أبخرة من زيت الكهرمان وحمض السكسنيك Succinic acid وهو حمض عضوي. ويتبقى من الكهرمان مادة سوداء يصنع منها ورنيش الكهرمان.

ويتميز الكهرمان بأنه مادة صلبة لينة الملمس، صفراء اللون، لكنه يمكن أن يكون أحياناً بظلال من اللون البني أو الأحمر أو البرتقالي، ونادراً ما يميل إلى اللون الأزرق. وتتراوح صلادته ما بين ٢ - ٢,٥ بمقياس موهز للصلادة النسبية، ووزنه النوعي ما بين ١ - ١,١.

والكهرمان يشتعل إذا ما تعرض للنار اللاهبة، وتنبعث منه ادخنة كثيفة مع رائحة زكية أحياناً.

أصل الكهرمان وفوائده

توجد مناجم الكهرمان بالقرب من شواطىء بحر البلطيق، فتحت طبقات الرمل والطمي وعلى عمق ٢٠ قدماً من السطح توجد طبقات من الخشب المتفحم سمكها حوالي ٥٠ قدما، وفي ثنايا هذه الطبقات توجد كتل من



حشرات مزدوجة الجناح وبعض بقايا اوراق الشجر في قطعة من العنبر البلطيقي، ويبلغ عمرها ٣٠ مليون سنة .

الكهرمان مطمورة بين سيقان الأشجار، وتحت طبقة هذه الأشجار المتفحمة توجد كتل مستديرة من الكهرمان. ومن هذه القرائن الجيولوجية نستدل أن الكهرمان ما هو إلا راتنج بعض الأشجار الصنوبرية الذي تحول إلى مادة صلبة بمضي الزمن. كما يوجد الكهرمان أيضاً بكميات صغيرة بالقرب من شواطىء صقلية وبحر الادرياتيك واستراليا ورومانيا وبورما. أما أهم فوائد الكهرمان في الوقت الحاضر فهو استخدامه في صنع العقود والمسابح وبعض الحلي، ويمكن اذابة الكهرمان في الكحول حيث يستخدم المحلول قاعدة لتحضير بعض أنواع الورنيش.

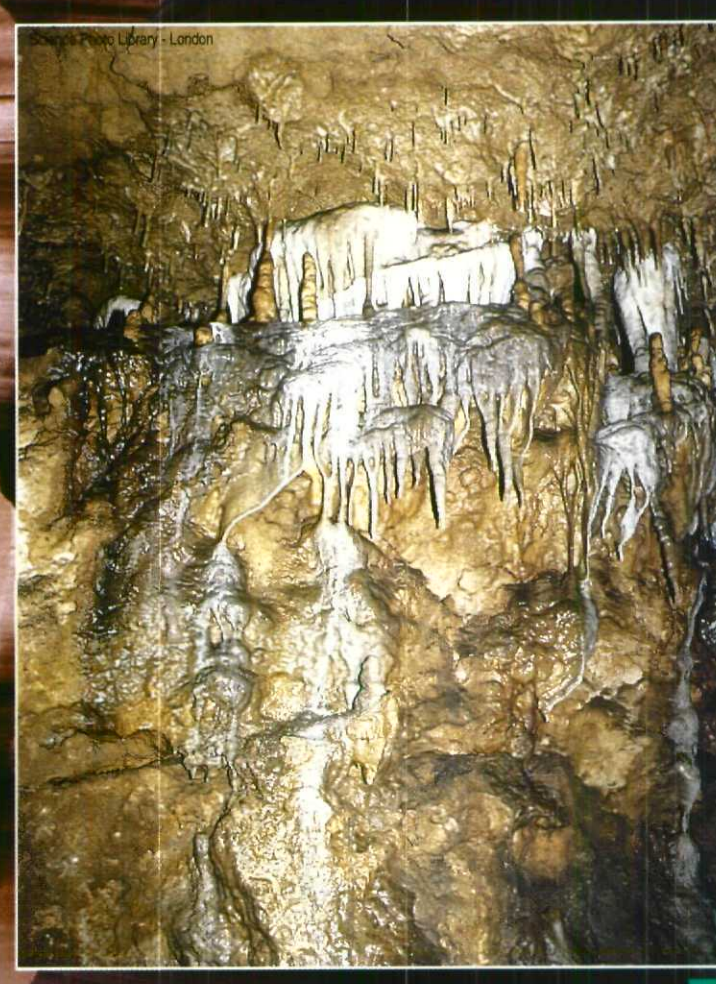
أهمية الكهرمان

يمكن القول أن الأشجار الصنوبرية التي أفرزت الكهرمان تتزايد حول بحر البلطيق منذ حوالي ٤٠ إلى ٦٠ مليون عام، ويتم تعدين واستخراج الكهرمان فيما حول بحر البلطيق، وقد وجد في كهرمان هذه المنطقة بقايا نباتات وحيوانات صغيرة وحشرات أو دود يختزنها الكهرمان فاحتفظ بها كاملة مما يسرّ رؤيتها رغم مرور ملايين السنين. وقد أمكن جمع كثير من قطع الكهرمان التي تحتوي على هذه الكائنات المحنطة وهي تطفو على شواطىء بحر البلطيق نتيجة لتفتت صخورها التابعة لعصر الميوسين. كما عثر على بعض قطع الكهرمان المحتوية على حشرات بطريق الصدفة في الصخور الكريتاسية Cretaceous rocks وصخور الحقب الثلاثي Tertiary rocks في مناطق أخرى. وقد قابلت بعض الباحثين الروس الذين يهتمون بدراسة الكهرمان من الناحية الجيولوجية. ويبدو من مناقشتي لهم أن دراسة الكهرمان يمكن أن تلقي بعض الضوء على الظروف البيئية التي كانت سائدة خلال تلك الفترة الجيولوجية، وعن تطور الكائنات والأحداث الجيولوجية التي مرت بها. ويبدو أن هذه الافرازات أو الدموع المتأحفرة للأشجار القديمة يمكن أن تحكي قصة رائعة من قصص التطور الجيولوجي.

والكهرمان في النهاية نافذة شفافة نستطيع من خلالها أن نرى جزءاً من الماضي الجيولوجي بشكل أكثر تفصيلاً ■

التفسير العلمي للكهوف

بقلم الأستاذ: مصطفى يعقوب عبد رب النبي - مصر



احد الكهوف وتبدو فيه الهوابط «كربونات الكالسيوم» متدلية من السقف .

تستأثر المناظر الطبيعية، خاصة المغارات والكهوف، بقسط كبير من الاعجاب والاستمتاع بالمشاهدة، بل ان معظم هذه المناظر قد اصبحت مركز جذب للسياحة، التي تحرص الدول على ابرازها ضمن المعالم السياحية بها.

والحقيقة ان الطبيعة كانت وما زالت مصدر وحي والهام لأرباب الفن وعشاق الجمال من شعراء وفنانين.

واذا كان الانسان يحرص كل الحرص على رؤية مثل هذه المناظر الطبيعية والاستمتاع بجمالها والتأمل في ملكوت الله وبديع صنعه سبحانه وتعالى. فان المهم حيال هذا الحرص ان يقابله حرص آخر على معرفة التفسير العلمي لمثل هذه المناظر العجيبة الأشكال المتنوعة.

ولعل الكهوف الغائرة في بطون الجبال على تنوّع أشكالها واختلاف انماطها هي واحدة من اكثر المعالم شهرة وانتشارا، حتى أصبحت من الأمور المألوفة والشائعة التي لاتحظى بالغرابة لمن يراها. وفي مقابل تلك الكهوف؛ نمط آخر منها يعد من غرائب الطبيعة وأكثرها مدعاة للعجب والاعجاب لغرابة تكوينها الذي يمتاز بأرقى درجات الجمال الفني الذى لايملك الانسان حيال رؤيته الا النظر اليه مشدوها يعروه الانبهار والدهشة.

وهذا النمط من الكهوف ليس عادياً أو مجرد فراغ غائر في بطون الجبال. ووجه العجب والغرابة فيها تدلي أعمدة هابطة من سقفها باتجاه ارضية الكهف اشبه بالثريات المعلقة ولكنها ثريات طبيعية قوام مادتها من الحجر وليست من صنع البشر.

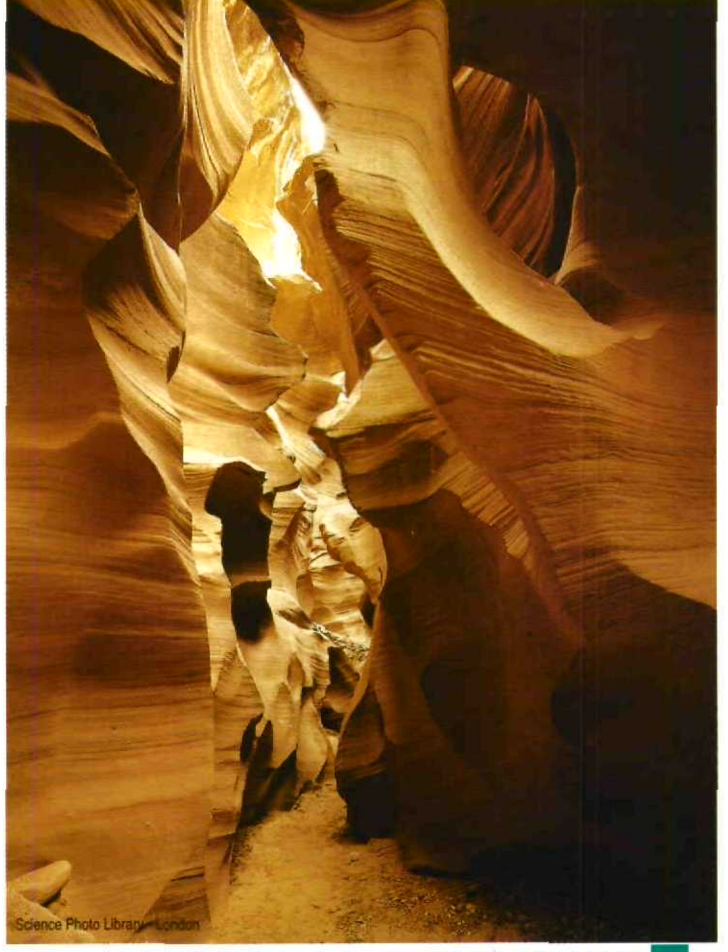
وهناك اعمدة حجرية اخرى قد اتخذت من ارضية الكهف قاعدة لها، فهي اعمدة قائمة وكأنها تحاول الصعود الى السقف. وهذه الاعمدة المدلاة التي يطلق عليها اختصارا «الهوابط Stalctites» والقائمة التى يطلق عليها ايضا «الصواعد Stalagmites» هذه الأعمدة غالبا ما توجد في الكهف متداخلة فمنها ما هو صاعد ومنها ما هو هابط. ولعل السؤال الذي قد يتبادر الى الذهن لكل من يرى هذا النمط الغريب والفريد؛ كيف تكوّنت مثل هذه الاعمدة؟.

تكون الكهوف

إن السبب الرئيس لتكوّن الكهوف هو مياه الامطار او ما يسمى «الماء الجوي Meteoric water». فالمطر حين يسقط يسلك سبيله عبر الروافد والانهار والمجاري المائية ليذهب في نهاية المطاف الى البحار والمحيطات مما هو معروف ومشهور، غير أن جزءا منه يتسرب ويغوص في صخور الأرض عبر الشقوق والفواصل التي قد توجد عادة في الصخور.

واذا دققنا البحث في أمر هذا الماء الجوي الذى انتهى به المطاف الى باطن الصخور الذى يطلق عليه في هذه الحالة الماء الباطني، Underground Water والذى قد يظهر على السطح مرة أخرى على هيئة ينابيع او عيون، اذا دققنا البحث سوف نجد أن الماء الباطنى قد صار بعد رحلته ذا نشاط كيميائى.

والسبب في هذا النشاط الكيميائى يرجع الى ان الماء



شقوق في احد الوديان تصل إلى عمق حوالي خمسين مترا، وقد تكونت بفعل تسرب مياه الامطار من خلال الاحجار الرملية.

الجوى قد اذاب بعضا من غاز ثانى اكسيد الكربون الموجود بطبيعة الحال في الجو. فمن المعروف ان غاز ثاني اكسيد الكربون قابل للاتحاد بالماء اذ انهما يكوّنان مع وجود الاكسجين حمضاً ضعيفاً هو حمض الكربونيك.

هذا بالنسبة للماء الجوي، اما فيما يتعلق بالاحجار الجيرية فهي احدى انواع الصخور الرسوبية التى تتميز بهيئتها الطباقية، بمعنى أن الصخور الرسوبية بوجه عام والاحجار الجيرية بوجه خاص تتكون على هيئة طبقات، حيث تكونت وترسبت تلك الطبقات تباعا طبقة اثر طبقة عبر العصور الجيولوجية. وتبعا لهذا الترسيب المتتالي نشأ نوع من الحدود الفاصلة بين الطبقات يطلق عليه مستويات التطبّق او سطوح الانفصال Bedding planes. ومن الملاحظ على الاحجار الجيرية بالاضافة الى وجود سطوح الانفصال، كثرة انتشار الفواصل والشقوق الرأسية على طبقات الاحجار الجيرية.

واذا كانت الصخور ــ ايا كان نوعها ــ تتألف من اكثر من معدن، فان الاحجار الجيرية تتميز بكونها مؤلفة من معدن واحد، حيث يطلق عليها، صخور وحيدة المعدن Monomine Ralic Rocks، لأنها تحتوى على معدن رئيس واحد، هو معدن الكالسيت Calcite الذى يتكوّن ــ كيميائيا ــ من كربونات الكالسيوم. وهذه من المركبات الكيميائية التى يسهل على الأحماض حتى الضعيفة منها التفاعل معها واذابتها.

نخلص من هذا لنقول ان الماء الجوي الذي صار فيما بعد حمض الكربونيك قادر على اذابة الاحجار الجيرية باعتبار ان المكوّن الرئيس لها هو كربونات الكالسيوم. وحين يتفاعل الاول مع الاخير فان الاخير يتحول الى بيكربونات الكالسيوم وهي من المواد القابلة للذوبان في الماء.

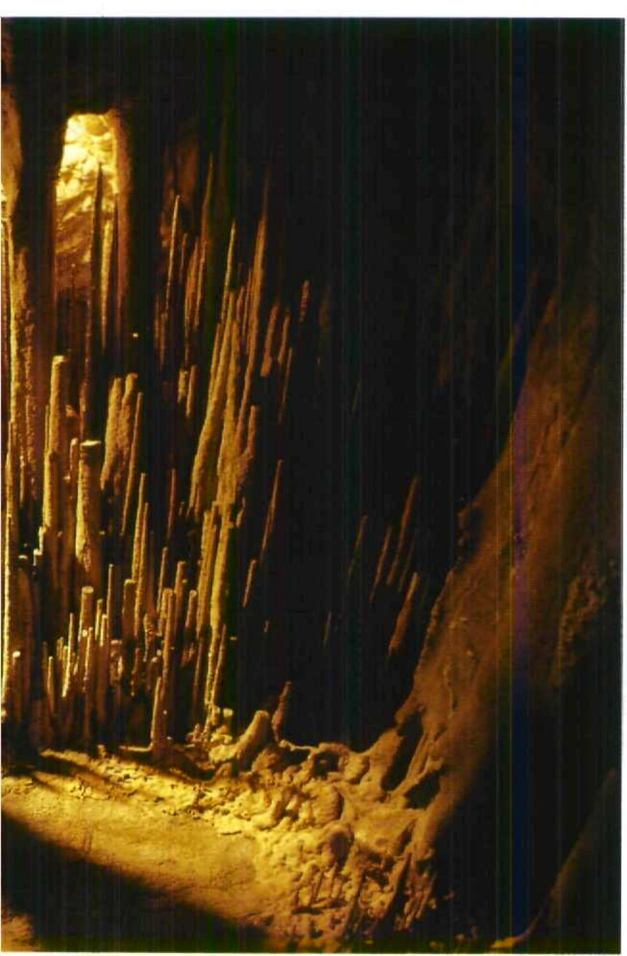
إن مياه الامطار المحملة بحمض الكربونيك حين تتسرب من خلال الشقوق والفواصل الرأسية الموجودة في طبقات الاحجار الجيرية فإنها تحوّل الكربونات الى بيكربونات تذوب في الماء. وسرعان ما تأخذ هذه المادة الجديدة ـ البيكربونات الذائبة ـ طريقها مع سريان المياه الباطنية خلال سطوح الانفصال تاركة وراءها فراغا ما يلبث ان يزيد حجمه قدرا واتساعا كلما توالى واستمر تأثير المياه الباطنية المحملة بحمض الكربونيك على الاحجار الجيرية. وينتج عن هذا التأثير ـ عبر الزمن الجيولوجي ـ تكوّن الكهوف والمغارات التى تتفاوت أحجامها حسب معدل تأثير حمض الكربونيك زيادة ونقصانا وحسب مستوى المياه الباطنية وحسب تركيز الحمض نفسه، وغير ذلك من العوامل التي تؤثر سلبا او ايجابا في عملية ذوبان الصخور الجيرية.

الصوَاعد والهوَابط

بعد تمام تكوّن الكهف وفي اثناء سريان المياه الباطنية الحاملة لحمض الكربونيك قد يحدث ان ترشح او تنز نقطة او بضع نقاط من هذه المياه من سقف الكهف. وقد تظل هذه النقطة أو تلك النقاط معلقة فى السقف فترة تقصر او تطول حتى تجف، أي ان بيكربونات الكالسيوم الذائبة تتحول بالتبخير الى كربونات كالسيوم لا تذوب في الماء. ويرجع السبب فى هذا التحول إلى تطاير غاز ثانى اكسيد الكربون الذى كان بالاضافة الى الماء سببا فى تكوّن البيكربونات الذائبة.

وعند ترسب الكربونات على سقف الكهف تكون فى البداية اشبه بالهباء الذى لايكاد يرى. وتسلك النقاط التالية نفس المسلك السابق من الرشح ثم الجفاف الناتج عن التبخير ثم الترسب على سقف الكهف وهكذا دواليك وعبر الوف او ملايين السنين تزداد كمية كربونات الكالسيوم شيئا فشيئا على شكل اعمدة مدلاة من سقف الكهف هابطة نحو القاع وهى تلك الاعمدة المسماة بالهوابط.

وفى كثير من الأحيان يحدث ان هذه النقاط قد تكون نقاطا ثقيلة لا تقوى -لثقلها- على التعلق بسقف الكهف، فتسقط على القاع ليسرى عليها ما سرى على النقاط المعلقة بالسقف من حيث الجفاف الناتج عن التبخير الذى يؤدى الى ترسب

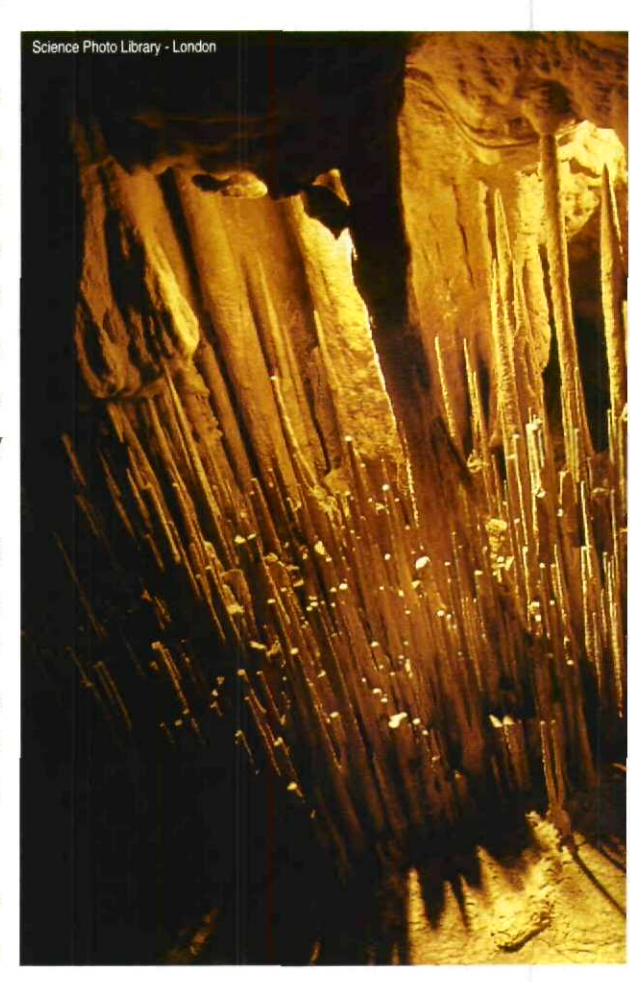


منظر خلاب تتداخل فيه صواعد الكهوف وهوابطها حيث تبدو وكأنها ثريات متلالئة.

كربـونات الكالسيـوم. وبتوالي تساقـط مثل هـذه النقـاط على قـاع الكهـف وتـرسيـب محتواهـا من الكـربونات، يـرتفع عمـود من ارضية الكهف يتلمس طريقه الى اعلى صاعدا فى اتجاه السقف. وهذا النوع من الاعمدة هو ما يطلق عليه اسم الصواعد.

بين العلم والسياحة

لعل الفائدة المنظورة لمثل هذا النمط من الكهوف، هي فائدة سياحية بالدرجة الاولى ومن اشهـر هذه الكهوف في العالم كهـف بئر الراعي Buits Berger بفرنسا الـذى يقال عنه انه اعمق كهف فى العالم وكذلك كهف كار لسبـاد Carlspad بـولايـة نيـومكسيكـو بالولايات المتحدة الامريكية.



وفي عالمنـا العربي فـان مغارة «جعيتـا» بلبنان تتمتع بشهرة عـالمية في عالم الكهوف والمغارات ذات الصواعد والهوابط.

وقـد لعبت الصـدفـة الدور الاسـاس في اكتشاف كهـف من هذا الطـراز في مصر. فقد طـالعتنـا الانبـاء مؤخـرا بـأن عمال احـد المحاجر القـريبة من مدينة بنى سـويف قد صادفتهم فجوة كبيرة بينما كانوا منهمكين فى تقطيع واقتلاع كتل الصخـور الضخمة. وقد تبين ان هـذه الفجـوة تـؤدى الى كهـف كبير زاخر بالصواعد والهوابـط. واذا كان هذا هو الجانب المتعلق بالسياحة وهو لاشك جانب منظـور لايخفى على احـد. فما هو الجانـب العلمـي الـذى قـد يخفــى على الكثيريـن معرفته؟

الحقيقة أن الكهوف والمغارات على اختـلاف انـواعها وانماطهـا بوجـــه عـــام قـد شغلت جـانبـا كبيرا مـن اهتمـام العلماء والباحثين حتـى صار هذا الاهتمام علما من العلوم شأنه في ذلـك شـأن اي علـم آخـر لـه اسسـه وقواعـده ومعطياته العلمية، وهـو ما سماه العلماء «علـــم الكهـــــوف Speleology».

وعلم الكهـوف هـذا ــ كمـا جاء في تعـريفـه ــ هو العلـم الـذى يهتـم بـدراسة تشكيـل واكتشاف الكهـوف الطبيعية فى بـاطن الارض ومـا يتعلق بها من ظواهر مختلفة، كما تشمل هذه الـدراسة محاولـة استغلال الكهـوف اقتصاديا.

ومن الامـور المهمة التـى يستفاد منهـا خلال دراسـة الكهـوف معرفـة مستوى الماء الباطنـى في نفس العصر الذى تكـوّن فيه الكهـف ومن ثـم تتبع مسـاره عبر الشقوق وأسطـح الانفصـال في الصخور الجيرية، فربما يؤدي هذا التتبع الى اكتشـاف مصادر ميـاه جـوفية لم تعـرف في السابق.

كما أن دراســـة هــــذه الكهـــــوف تؤدى -بطبيعـة الحال- الى دراسة البيئـة القديمة Paleoecology، ولا سيما معرفـة الظروف الطبيعيـة، والمناخية بوجـه خاص التى سادت منطقة الكهف وقـت تكوّنه. ومن الجدير بالذكر ان علماء الاثار ولاسيما فيما يختص بحضـارات ما قبـل التاريـخ كان لهم نصيب لابأس به مـن الاستفادة من الكهوف التـى كثيرا مـا اتخذهـا الانسـان البـدائى مسكنـا وملاذا لـه، الامر الـذى مكّن هـؤلاء العلماء مـــن التعـرف الى خصـــائص هـــذا الانسان ومستـوى معيشته ونـوعية الالات التـى كـان يستخدمهـا واشكـالها ودرجـة تطورها ■

المراجع :

١ ــ جـودة حسنين جودة، معـالم سطـح الارض، دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ١٩٨٧.

٢ ـ سعد الدين النقـادي، اسس الترسيب، مطبوعات جامعة اسيوط ـ اسيوط ١٩٦٠.

٣ ـ محمد ابراهيم فارس وآخريـن، قواعد الجيولوجيا العـامـة والتطبيقيـة، دار النهضـة العـربيـة ـ القاهرة ١٩٦٤.

4. Berner, R.A., Principles of Chemical Sedimentology, McGraw-Hill, London, 1971.

5. Derbyshire, E., Geomorphology & Climate, John Wiley & Sons, London 1976.

6. Easterbrook, D.J., Principles of Geomorphology, McGraw-Hill, London 1969.

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

بقلم الأستاذ: علاء الدين رمضان - مصر

النظم في اللغة يرادف التأليف، من «نظم» اللؤلؤ جمعه في السلك، ومنه «نظم» الشعر، و «نظّمه»، و«نظم» من لؤلؤ، وهو في الأصل مصدر، و «الانتظام» الاتساق (١) وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته، فإذا قلنا أن تعليق الكلمات بعضها ببعض يسمى من الناحية اللغوية نظماً لم نبعد (٢).

النظم عند الامام عبد القاهر الجرجاني

النظم عند الامام عبد القاهر الجرجاني، هو: ترتيب معاني الألفاظ في النفس، وتنسيق دلالتها، وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو المتخيرة، والموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل، ثم النطق بالألفاظ على حسب ترتيب معانيها في النفس، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولًا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولًا في النطق (٣). ويؤخذ من كلام الإمام عبد القاهر (٤) أن النظم له معنيان:

المعنى الأول

ضم اللفظ إلى اللفظ كيفما اتفق، فتتوالى الألفاظ في النطق، وهذا يشبه حال من يعد الجوز، أو يجمع الحصا، وليس هذا المعنى بمقصوده ومراده.

المعنى الثاني

هو ترتيب الألفاظ على حسب ما تقتضيه المعاني في النفس، فهو نظير للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير. وما اشبه ذلك (٥).

وعلى هذا المعنى - الأخير - تدور نظرية الشيخ في النظم لأن تعلّق، أو ضم، الألفاظ إنما هو منوط بالقوانين المعيارية للنحو، أما تعلق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض .. والنظر إلى التراكيب اللغوية كسياق متلاحم مترابط فهو مرمى الشيخ ومراده،وهو يجعل وجوه التعلق ثلاثة: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، فهو يشير إلى أن الألفاظ لاتتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما تثبت لها الفضيلة، وخلافها من ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما اشبه ذلك، مما لاتعلق له بصريح اللفظ (٦). ونظرية النظم عند الامام عبد القاهر نظرية ذات شقين:

الأول: البناء والنظم والتركيب.

الثاني: الصياغة والتصوير والجمال.

وكلا الشقين يؤلفان المحور الرئيس لفلسفة الامام عبد القاهر الذوقية. وهما يدوران حول نظرية نظم الكلام وترتيب معانيه، فالأول يؤكد جانب بناء الكلام وصلته بمعانيه وصلتها بعضها ببعض، والثاني يؤكد الجانب التأثيري من جوانب هذه المعارف، وبيان مسالكها إلى النفوس (٧).

وقد استطاع الإمام عبد القاهر الجرجاني أن يقترب كثيراً من مفهوم محدثينا فيما يتصل بهذه

القضيــة. فقد جـاءت دراسات الامـام عبـد القاهـر لألوان البلاغــة مرتبطة بالنقـد، وعلى ذلك الأساس قاس النص بطريقة ذوقية منهجية، ان نظرية النظم (العلاقات Rapports) عند الامـام عبد القاهـر هي أول نظـرية لغـويـةنقديـة تقابلنـا في تـاريخ النقـد العـربي. فلم يعـد لتصـانيـف أبي هلال العسكـري (ت ٣٦٣ هـ) موقـع في قلوب المتـأدبين، لأن الأدب نفسه لم تطغ عليه المحسنات البـديعية، والصياغة اللفظيـة طغيانـاً تامـاً، ويرجـع الفضل في ذلـك إلى الشـاعر أبي العـلاء المعـري (ت ٤٤٩ هـ) الـذي كـانـت لـه اليـد الطـولى في صـد طغيـان الصنعـة والتصدي لدفق المحسنات البديعية، وإلى الإمام عبد القـاهــر الجرجـاني الــذي قـاوم تيــار اللفظيـة (الشكلانيين)، أشد مقاومــة [٨] وقال : «ان الألفاظ خدم المعاني»، فقد كان لابد من هذه الصرامة في وجه أولئك المتأخرين من الأدباء الذين بدا في كلامهم كلام حمّل صاحبه فرط شغفه بأمـور ترجع إلى ما له اسم في البـديـع أن ينسـى انه يتكلـم ليفهـم، فـالقضيــة الأساسيــة التي اشتغـل بها عبد القـاهر في كتـابيه «أسرار البلاغــة»، و «دلائل الاعجاز»، هي التفـرقة بين «مستويات الكلام»، تلك المستويات التي تبدأ من «الكلام العادي»، وتنتهي إلى «الكـلام المعجز» الذي يفوق طاقــة البشر، فكان الامام عبد القـاهر مشغولًا بالبحث عن العلة الكـامنة وراء اعجاز القرآن، وكان عليـه مـن أجـل الوصـول إلى هـذه العلــة أن يحدد الخصائص الفارقة بين كـلام وكلام، تلك الخصائص التــي تقـوم على اسـاسها المفـاضلــة، وقـد ردّ تلـك الخصائص إلى قانون لغوي هو قانون «النظم» وكان على الامام عبد القاهر - لكي يـؤصل هذا القانون - أن ينفي عـن الفكر اللغـوي والنقدي مـا ساده مـن ثنائية اللفظ والمعنى [٩]، ولكن من المستحيل أن تتم هذه التفرقة بين هذين الطـرفين من مستويات الكلام دون الوقوف على فهم دقيق لمستوى «الكلام الأدبي» والتوقف الطـويل أمام خصائصه، ولقـد دافع الامام عبـد القاهر - من هـذا المنطلق - عن «علم الشعر» ضـد من يغـض مـن قيمته ويهوّن مـن شـأنه وشـأن مبدعيه ونقاده.

وإذا حاولنا استقصـاء الروافد التي نهلـت منها فكـرة «النظم» وطلبنـاهـا في منـابعها قبـل الامـام، لوصلنـا إلى بعض تلـك الروافـد التي استقـت منها «نظرية النظـم»، فنجده قد التقى مـع الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، «في أن اساس التفاضل بين صنّاع الكلام، ليس هو المعنى الذي يورده الأديب، وإنما يتفاضلون بحسن الصياغة واقامــة الوزن وتخيّر اللفظ وجودة السبك» [١٠]، وليس هذا بالضبط هو مفهوم الشيخ الذي لايقيم فضلًا بين الألفاظ والمعاني إلابما يحصل في العقل لفظـه ويسبق إلى القلب معناه، وهنـا يظهر قصـور لـدى الـدكتـور أحمد بـدوى عـن فهـم آراء الجرجانى، وقد جاء هذا القصـور من قراءته النص - الذي نثبتـه فيما يلي - يقول الامام عبد القـاهر : «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وان سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كـالفضة والذهب، يصاغ منهما خاتـم أو سوار ..» ثم يمضي الامـام في تشبيه المعنى بالمادة التي يصنع منها الخاتم والتفضيل بين خاتم وآخر لايكون في هذه المادة، وانما يكون في الشكل والصياغة، أي الألفـاظ والوزن والقافية، لـذلك نراه يعيب على من يرجـع المزية في الكلام إلى المعنى دون لفظه[١١].

وجملة الأمر أنه لاتكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سـواراً أو غيرهما مـن أصنـاف الحلي بـأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما مـن الصورة، وكـذلك لاتكـون الكلمــة المفردة التــي هــي اسماء، وافعال، وحـروف، كـلاماً وشعـراً من غير أن يحدث فيهـا النظم الـذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه.

لكنـا نقر تـأثـر الامام عبـد القـاهـر بالجاحـظ بمسـائل جماليــة تتعلـق بتنظيـم اللغــة والتركيـب

الأدبي لها، لما للجاحظ من مكانة بارزة في مجال الفكر الأدبي، فقد أمسك الامام عبد القاهر بالخيط من أبي عثمان الجاحظ حينما أشار إلى أن القرآن الكريم معجز «بنظمه»، خاصة حينما تحدث عن الجمال اللفظي والجمال المعنوي، من هنا بدأ الامام عبد القاهر بحوثه الأدبية حتى انتهى بها إلى تأسيس «علمي المعاني والبيان» [١٢]، وبعد الجاحظ تأثر عبد القاهر الجرجاني بالواسطي (ت ٣٠٧ هـ)، بل ربما كان للواسطي تأثير كبير شامل يصل إلى جزئيات فكر عبد القاهر، وربما يرجع ذلك إلى تأثر الامام بآراء وأفكار الواسطي وتصديه لشرح كتابه «اعجاز القرآن في نظمه» في أجزاء، ثم عاد ولخصه في كتاب واحد هو «المعتضد» وهذا يدلنا على مدى تأثر الامام بأفكار الواسطي، وبعد الواسطي تأثر الامام عبد القاهر بأبي سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ت ٣٣٨ هـ). الذي ذكر لفظ «النظم» يعني به، صراحة، ما عناه الجاحظ من اتساق اللفظ والمعنى، ولكن حديثه جاء اشارات عابرة في كتابه «بيان اعجاز القرآن» [١٣]، بل أن الخطابي اقترب من مفهوم نظرية النظم وجوهرها عندما قال: «انما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم». ولقد اثار الدكتور بدوي طبانة في كتابه «البيان العربي» مطاعن تحاول النيل من اسبقية الامام عبد القاهر وريادته، فيما يتعلق بنظرية النظم التي يرى الدكتور «طبانة» أن الامام عبد القاهر وإن سبق بإشارات تدور حول النظم، غير ان أحداً لم يضع نظرية متكاملة على درب النقد الأدبي، عند العرب، قبله، بل ان سمة الريادة تظل قائمة في نظرية النظم من أي وجهة اتيت، فقد كان الامام رائداً في نظراته حول اللغة والسياق والتراكيب، وكان رائداً بنفس الدرجة في ميله نحو التأمل والاستقراء، «فهو أول مؤلف في الأدب العربي عالج موضوعه في طريقة علمية منظمة وجمع بين وجهة النظر الواضحة والاستقراء الدقيق» [١٤]، إلى جانب أنه قد حاول وضع قواعد فنية للبلاغة والجمال الفني في كتابه «دلائل الاعجاز» كما حاول أن يضع قواعد نفسية للنصوص في كتابه «اسرار البلاغة» متأثراً بالفلسفة الاغريقية، وبالمنطق [١٥]، ولكن ليس على طريقة «قدامة ابن جعفر» (ت ٣٣٧ هـ) فقد كان له من ذوقه الأدبي عاصم قوي، فبقي في دائرة المنهج العلمي ■

الهوامش:

١ - محمد بن ابي بكر الرازي: مختار الصحاح، مادة «ن.ظ.م» (ص ٦٦٧)، ط دار نهضة مصر بالفجالة، القاهرة - د.ت.

٢-٣ - عبد العزيز عرفة، تربية الذوق البلاغي (ص: ١٨٣) دار الطباعة المحمدية - القاهرة ١٩٨٣م.

٤-٥ - دلائل الاعجاز (ص: ٤٠).

٦ - انظر ما كتبه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، في مقدمته بين يدي كتاب «دلائل الاعجاز»، وكذلك «اسرار البلاغة» (جـ١ - ص ٧٩).

٧ - د. محمد خلف الله: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، (ص: ٧٥)، ط١ - لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧م.

٨ - د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، (ص: ٣٣٢ - ٣٣٣)، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة، القاهرة ١٩٧٢م.

٩ - د. نصر أبو زيد، اشكاليات القراءة (ص: ٧٥) هيئة الثقافة - القاهرة ١٩٩١م.

١٠ - الجاحظ: الحيوان، (جـ٣ - ص ١٣١) ط١ - مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٨م، و: د. أحمد بدوي: عبد القاهر الجرجاني (ص: ١٢٩) مكتبة مصر ١٩٦٢م.

١١ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز في علم المعاني (ص: ١٩٦ - ١٩٧)، ط دار المعرفة بيروت ١٩٨٤م، واشكاليات القراءة (ص: ٧٥).

١٢ - د. عبد الرحمن عثمان: مذاهب النقد وقضاياه، (ص: ٢٨١) مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة ١٩٧٥م.

١٣ - د. محمود الحسيني المرسي: مفهوم الشعر في النقد العربي (ص: ٢٩٠)، دار المعارف - الاسكندرية ١٩٨٣م.

١٤ - سيد قطب: النقد الأدبي .. اصوله ومناهجه (ص: ١٩٩) ط ٦ - دار الشروق، القاهرة ١٩٩٠م.

١٥ - النقد الأدبي اصوله ومناهجه (ص ١٢٦).



قصيدتان

شعر : د. حسين علي محمد - الرياض

جمرة لذاكرة الشاعر

أدفعْ كرات الثلج عن سطر وليدْ

وارحلْ مع الأمواج مقتحما

بلا بحرٍ قديمٍ ، او جديدْ

واجمعْ لنا غيماتِ هذا العالم المقهورِ

امطرنا ببرقكَ والرعودْ

حطمْ بيارق صمتنا المسطورِ في رقعِ البريدْ

وارفعْ بيارقَ شِعركَ الدفاقِ

في ايدي قريبٍ او بعيدْ

اشعلْ قناديلَ المدينةْ

واملأ قلوبا مثقلات .. بالسكينةْ

أنتَ السذاجةُ

والبراءةُ..

والجسارةُ ..

واقتحامات الجنودْ

فالضوء صوتكَ ..

والايائلُ بعضُ شعرك

واستعارتُك الحشودْ

الذي رأى

في تقاسيم الزمانْ

أبصرَ السيفَ بلا غمدٍ وسادةْ

يقطعُ الليل عبادةْ

باحثاً عن لحظةِ العتقِ وآفاقِ الشهادةْ

ممسكاً بالصولجان

حالما بالغد يأتي

حاملاً مناً وسلوى وسعادةْ

ناشراً ثوب الأمانْ

هو في القفر وحيدٌ

يزرعُ البيدَ ربيعاً وسنابلْ

يطلق النارَ ..

على دهر الرمادةْ !

مأساة اليد العاملة المهاجرة

بقلم: د. مظفر صلاح الدين شعبان - سورية

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، اهتزت دول أوروبا الشرقية كلها، وبدأت اعداد كبيرة من العمال الاوروبيين الشرقيين المهرة تتدفق إلى دول السوق الاوربية المشتركة: عمال تشكيل المعادن من بولونيا، وميكانيكيين من كرواتيا، وعمال اللحام من جمهورية تشيكيا، وعمال البناء من روسيا، وجميعهم يقاسون ظروفاً معيشية صعبة في دول السوق الاوربية المشتركة، علماً أن هؤلاء العمال شاركوا ويشاركون في انشاء أهم المشروعات، واكثرها حيوية، في دول اوروبا الغربية، مثل مطار فرانكفورت الجديد، والمنتجع الجديد لديزني الاوربية التي شيدت بالقرب من باريس.



تتركز الكثير من أعمال اليد العاملة المهاجرة في أعمال الإنشاءات.

العمالة الرخيصة

ليس جديداً القول أن اليد العاملة الرخيصة التي تغمر الغرب هي نتيجة المصائب الاجتماعية التي تهز اوروبا الشرقية بأسرها، فانهيار الانظمة الشيوعية ادى إلى تقويض دعائم الصناعات التقليدية في هذه الدول مما ادى إلى اصابة القطاع الحكومي في هذه الدول بالشلل من حدود بولونيا الغربية حتى اقصى شرقي سيبيريا. ومع توجه الاقتصاد في هذه الدول إلى «اقتصاد السوق» فقد وجد عدد هائل من العمال أنفسهم تحت رحمة جميع اشكال الاستغلال، فعمال دول اوروبا الشرقية يبيعون الآن ايديهم الماهرة إلى الشركات الغربية لقاء مبالغ زهيدة تدفع لهم بالنقد الأجنبي. ان هؤلاء العمال ينشؤون الأبنية والمصانع، ويرصفون الشوارع والطرقات، ويصنعون السيارات، ويمددون خطوط الأنابيب، ويحرثون الحقول عبر اوروبا كلها. ومع أن الغالبية الساحقة منهم لاتمارس العمل المكتبي أو الاداري، إلا أنهم - مع ذلك - يتقاضون أجوراً بسيطة، ويعيشون في أحياء مكتظة، ويعرقون ساعات طويلة للغاية وبدون أية حقوق قانونية.

أن هؤلاء العمال يختلفون كلية عن العمال الأتراك، والايطاليين والافريقيين الشماليين الذين قدموا إلى اوروبا الغربية منذ ٣٠ سنة لأن هؤلاء الأخيرين اتوا بدعوة رسمية عن طريق الحكومات للقيام بالأعمال القذرة المتواضعة التي كان العمال المحليون

يترفعون عنهـا، في حين أن الأفواج الجديـدة من العمال الأجـانب محرومة حتى مـن هذا الوضع القانوني.

ويـزيـد في تفـاقـم الأزمــة أن عمــال اوروبــــا الشرقيـة هم في الغـالـب عمــال مهـرة، يغـادرون بلادهـم بسرور للعمـل في الغرب إلا أنهم يقعون - في الغالب - فريسة لشتـى أنـواع الاستغــلال على يـد شركـات تسـويق اليـد العاملـة، ومـا ان يبدأ هـؤلاء العمـل في الغـرب حتـى يجدون أنفسهـم مجبريـن على البقاء، لأنهم لـن يقـدروا على تغطيـة نفقـات المغـادرة. ويشعـر الجميـع بضغط الوضع الصعب.

ومـن الـواضـح أن تـوسـع هجـرة اليـد العـاملـة الشرقيـة يحقـق كثيراً من الفـوائد لأطـراف عـدة، فـالشرقيـون الفقـراء جـداً يحصلون على العمل، ويقومون بارسال النقد الأجنبـي إلى ذويهم. أما الشركـات الغربيـة فهي - بهذا الشكـل - تبقى تكـاليف اليـد العاملة الخبيرة منخفضة، وبذلك يتحقق لها وفـر كبير. ويستـدل على ذلـك مـن الأرقـام التالية : في السنة الماضية حصل الألمان على ٢١,٥٣ دولاراً في الســاعة وسطيـاً، في حين بلغــت ١٤,٧٧ في الـولايــات المتحــدة و ١٢,٦٤ في اليابان.

والسياسيـون، من نـاحيتهم ، يجدون في تـدفق اليـد العـاملـة وسيلة زهيـدة الثمـن لتخفيـف التـوتـر داخــل الـدول الشرقيـة المجـاورة الفقيرة، فعن طـريق السماح لليـد العاملة الشرقية بالدخول فإن الغرب يتجنب دفع مساعدات اضافية، ويتجنب كذلك شراء بضائع الدول الشرقية.

ومـع ان حركــة العمالــة المهــاجـرة تحقـق بعضاً مـن الفوائد على المدى القصير، إلا أنها تواجه تناقضـات كثيرة، ويرى بعض المطلعين أن حـركـة العمال المهـاجـرة بهذا الشكـل تحرم خزينـة الدولـة من العـائدات الضريبية. وهـي تهدد بتحطيـم الجهـود الرامية إلى تـوحيد سوق العمـل الاوروبية. ويقول بيرندهوف من معهد الاقتصاد الالماني في كولن «ان تـدفق العمال المهرة المهاجـرين مـن الشرق يشـوه اسواق العمـل في الغـرب، وسيكـون للأجـور الزهيـدة أثر سلبـي على المدى الطــويــل على الشركـــات التـــي تستـأجرهـم. ويضاف إلى ذلـك أن الاعتماد على الأجـور الزهيـدة لليد العـاملـة يؤخـر الاستثمار في التحـديــث، ويـؤذي مقـدرة الشركــات - على المدى الطـــويــل - على المنافسة».

إلى ناغـولد في ايـار (مايـو) ١٩٩١ كأحـد أفراد فـريق العمـل في احدى الشركـات كان يعمـل ستـة أيـام في الأسبـوع بمعـدل ٦٠ سـاعـة عمـل أسبوعيـاً، تخللتهـا رحلتـان قصيرتـان إلى وطنه بـالسيـارة عبر مسافـة طولها ١٢٥٠ ميـلاً. وهو ينهض من نـومه صباحاً في الخامسة، بينما يستلقي للنوم في حوالي العـاشرة مساء وهو منهك مـن التعب الشديد في شقة صغيرة ذات غرفة نوم وحيدة يتقاسمهـا مع ثلاثة مـن مواطنيه. ومـع أنه يتقاضـى ٣ دولارات في السـاعـة، وهو أجـر يعادل أربعـة أضعاف أجره في بلـده، إلا أنه



بعض شركات البناء في أوربا تستخدم عمالًا شرقيين بشكل غير قانوني من أجل تحقيق الأرباح.

استغلال العمالة

يتبين من خلال احصاء ميداني أن ٩٠٪ من شركـات البناء الالمانيـة تستخدم عمالًا شرقيين بشكـل غير قـانــوني. وحسـب كـل التوقعات فإن هذه الظاهرة ليست في طريقها إلى الانحسار.

فمثـلًا حين وصل أحـد العمال الشرقيين

يمثـل ربع أجـرة العـامل الالماني في المعمـل ذاته. ولايستبعد أحد مـن المسؤولين حدوث ذلـك «لأن امكـانـات بـون محدوده جـداً في مـراقبـــة العقـود المؤقتـة الموقعـــة ضمـن الاتفاقات الثنائية مـع حكومات دول اوروبا الشرقيـــة». ففــي واكنهـوت مثــلًا، فــإن البولونيون، الـذين حضروا للعمل في مشروع محدد وجدوا أنهم يعملون جنباً إلى جنب مع الالمان في أعمال متعددة، ولكن قواعد الأجور والأعمال الاضـــافيـــة لاتنطبــق عليهــم، والشركـة البولونية هـي المستفيد الأكبـر،

إذ تحصل سنوياً من فريق واحد على حوالي ٦٠٠٠٠٠ دولار.

والجدير بالذكر أن الشركة البولونية تغطي نفقات اقامة العمال (أجرة المنزل) بينما تدفع شركة أخرى تكاليف الطعام. وعليه فإن العامل البولوني يتحمل مصروفه الشخصي، وهو يسعى جاهداً إلى



اليد العاملة المهاجرة تبيع خبرتها مقابل مبالغ زهيدة.

توفير أقصى ما يمكن توفيره بغية تحقيق الغاية الأساسية وهي تأمين ثمن شقة له ولزوجته وطفله في نهاية هذا العقد ومدته سنتان.

البطالة وتدني الأجور

وهكذا، يتضافر العمل الشاق، والسكن المتعب، والشعور بالظلم في الحط من عزيمة المغترب، مما يجعله يقول - رغم الحظر المفروض على التحدث مع رجال الصحافة - «لو كان بمقدوري لعدت فوراً إلى وطني. ومع الأسف لا استطيع هناك ان اكسب ما اكسبه هنا، لذا، فأنا عالق هنا».

ومع أن العمال البولونيين غير مكرهين على البقاء في الغربة، إلا أن تحمل الغربة بكل مساوئها يبقى أقل الحلول مرارة، حتى أن مسؤولي الشركة البولونية يرددون على مسامع العمال بمناسبة أو بدون مناسبة «بامكان المتذمرين من شروط العمل أو الأجور أن ينقطعوا عن أعمالهم فوراً».

طبعاً، يقع العمال المغتربون تحت ضغط رهيب يجعلهم يقبلون بما هو أسوأ من ذلك. فالبطالة في اوروبا الشرقية تتوسع باستمرار بحيث تجاوز عدد العاطلين عن العمل ١٦ مليون شخص بينهم ١٢ مليونا على الأقل في الاتحاد السوفياتي السابق، وذلك حسب تقديرات منظمة العمل الدولية. وهذا الرقم مرشح لأن يقفز إلى ٣٠ مليون شخص حين تبدأ الاصلاحات في البانيا وتشيكوسلوفاكيا، ورومانيا، وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة.

من ناحية أخرى، فقد تصاعدت الدلائل حول نية «بعض المؤسسات» لدخول الحلبة وذلك بعد ان فاحت رائحة الأرباح الهائلة التي تجنيها شركات تسويق اليد العاملة. ويقول أحد مسؤولي منظمة العمل الالمانية: «حسب المؤشرات المتوافرة لدينا فإن الشركات تستأجر العمال بشكل غير قانوني وتدفعهم للعمل لدى الشركات الالمانية والأوروبية كجزء من شبكة يتحكم بها اشخاص ايطاليون وهولنديون غارقون بشدة في عمليات تسويق اليد العاملة المهاجرة».

وفي رأي شرطة العمل الالمانية فإن مسوقي العمالة في اوروبا الشرقية هم في كثير من الحالات المديرون الاداريون للشركات التي كانت تملكها الدولة، وهؤلاء فقدوا زبائنهم في الشرق ولكنهم حافظوا على معرفتهم التسويقية وكذلك ارتباطاتهم مع الغرب. وهم - الآن - يعملون لمصلحتهم الخاصة، وهم في الغالب يتواطؤون مع المسؤولين الحكوميين الرسميين، ولايستبعد ان يسعى بعضهم إلى انشاء ارتباطات مع أصحاب شركات أخرى.

العمالة غير القانونية

في الآونة الأخيرة اهتم بوليس مدينة فرانكفورت الالمانية بتقصي الارتباط الموجود بين الشركات التي تستخدم العمالة الرخيصة. وقد كشفت حملة مفاجئة شنها البوليس الالماني مؤخرا على احد المواقع في ضواحي فرانكفورت ان أكثر من نصف القوة العاملة، وعددها ٢٠٠، هي من السواح اليوغوسلاف، الذين يعملون بصفة غير قانونية لقاء ٢٠ دولار يومياً.

بعد ذلك بشهر واحد ارسلت احدى الشركات الحكومية الالبانية، رسالة بالفاكس إلى شركة المانية لمعالجة المعادن ولشركات أخرى، تعرض فيها تسويق عمال البانيين وفق «شروط مناسبة للغاية». وقد جاء في الرسالة ان الالبانيين مقبولون اجتماعياً ، وهم مجدون، ونظيفون، ويعملون جيداً في الظروف الصعبة، ومطالبهم متواضعة بالنسبة لشروط العمل، علما ان النساء والفتيات العاملات متوفرات كذلك، كما أن العمال المهرة مستعدون للهجرة بأجور زهيدة.

وبعـد فترة قصيرة وصـل إلى تيرانـا مـوظف كبير مـن احـدى الشركـات الالمانيـة وقـد صرح متباهياً : «ان العمال سيتقاضون ٦٠٠ دولارا في الشهر، سيقتطع منهـا ٥٤٠ دولارا مـن أجـل نفقات الاقامة».

والسبب الذي يجعل قيادات الحركـات العماليـة في الـدول الغـربية تتحـرك معترضـة على استقدام اليد العـاملة الاجنبية واضح. ويقـول غونثـر آدي، احد أفـراد هـذه القيـادات في واكينهوت، مفسـراً «إن العمالة الخبيرة الرخيصة تشكـل خطراً على مقـدرتنـا التفـاوضيـة، فالبـولونيـون سيقفون عثـرة في طريقنا إذا فكرنـا بالإضراب هذا الشتاء».



أصبحت بعض الصناعات الشاقة تعتمد على الروبوت لأن قوانين العمل لا تشمله.

إذا كـان الـوجـود المتـزايـد لعمال اوروبـا الشرقية يثير كـل هذه المشاكل والمتـاعب فان هذه المشـاكـل والمتـاعـب مـرشحـة للتفـاقم، فهنـاك عند المنعطـف موجـة جديـدة من جمهـوريات الاتحاد السوفيـاتي السابـق في طـريقهـا إلى الغـرب الآن، وقـد وصلـت الطـلائع الأولى لهذه الموجـة إلى بـولـونيـا، والمجـر. وتشيكوسلـوفاكيـا حيث يعمـل آلاف الـروس والليتـوانيين، والاوكـرانيين بـرواتـب زهيـدة. ومـن الواضـح ان المحطة التالية في الغرب. ففـي وارسو تحتشـد العناصر المسـؤولة عن تسـويق اليـد العاملـة أمام قصر العلـم والثقافـة وهـم يتدافعـون من شـدة الازدحـام، ويلـوحـون بـاشـارات مميـزة بغية اغـواء السـوفيـات السابقين للعمل في الغـرب. ولايستغرب احد الجهـد المبـذول لاستقطـاب السـوفيـات السابقين لأنهم يرضون بأقل من القليل.

مـن جهـة أخـرى، تحدث غـونثـر آدي بمـرارة عـن العمال البولـونيين قـائلاً : «إن العمال البولونيين مكلفون بـالقيام بالأعمال الشاقة مثـل ورشة الدهان، وهـذا المكان هو قطعة من جهنم. ورغم الضغط فإن الادارة لم توافق على تحسينه، فعندهم عمال بولونيون مستعدون للعمل في أي مكان».

ويجيـب مسـؤولـو الشركـة على هـذه الاتهامـات بـأن عـدد العمال الالمان، المستعـدين للقيـام بهذا العمـل قليل جـداً. ولهذا السبب فـإن عمليـات الاستعـانـة بالعمالة المهاجرة مستمرة. ويؤكد ذلك مدير احـدى الشركات مشيرا إلى احتمال وصـول ٢٠ عاملاً بـولونيا اضافيـاً للعمل في ورشة الدهـان، وهو يستبعـد انتقادات آدي حـول شروط العمل بـاعتبارها «كلامـاً اتحادياً». وهو يـؤكد أن الشركة في الـوقت الـراهن غير قادرة على تحمـل نفقات انشاء ورشـة دهان حـديثـة. أمـا مسؤولـو الشركـات الأخـرى فيـدافعون عـن مـوقـف شركاتهم بـالقـول : «ليست لنا أية سلطة على موظفي المتعهدين الثانويين وعمالهم». وبمثـل هذه الادعاءات تتنصل الشركـات الكبيرة من أيـة مسؤوليـة تجاه العمال الأجانـب، الذين يعملـون لدى المتعهدين الثانويين.

وبينما تتـذمـر وزارات العمـل في دول السـوق الاوروبيـة المشتركـة حـول الضرر الـذي يصيـب هـذا الاتحاد العمالي أو ذاك، وبينما تعبر وزارات المالية في هذه الـدول عن غيظهـا بسبـب عـائدات الضرائب التـي لاتستطيع جبـايتها، فـان وزارات الخارجية تؤكـد على ضرورة دعم الديمقراطيـة الفتية في دول اوربا الشرقية. ويقول وزير الاقتصاد الالماني جـورغـن مـولمان: «علينـا ان نقبـل هؤلاء العمال المهـاجرين شريطـة ان نضمن عودتهم إلى اوطـانهم بعد انتهاء مـدة عقود العمل التي حضروا بموجبها».

وبينما يستمر تدفق العمال المهـاجرين، يزداد الضغط من أجل رسـم سياسة جديدة في دول السوق الأوروبية المشتركة ذات آفاق اوسع تـرحب بالمهـاجريـن الجدد وتحد من الخلافات العمالية والنزاعات الفردية. وكما يقول غاي ستاندينغ، الاقتصادي في منظمة العمل الدولية : «ان كـانت اوروبا قادرة على وضع قـانون عـادل ينظم تـدفق العمال مـن اوروبـا الشرقية فـانها ستكـون الرابحـة في نهايـة المطاف. فـالأموال التـي يتقاضاهـا هـؤلاء تـرسـل إلى وطنهـم الأم، كما انهم يتعلمون في الغربة الكثير عن اقتصاد السوق، مما سيشجع النمو في اوطانهم، وهذا بدوره سيخفـف الضغـط عـن المساعـدات الحكوميـة الغربية» ■

العلاج العقلاني

بقلم : د. منى صبحي الحديدي - الأردن

ألبرت اليس Albert Ellis هو عالم نفس امريكي معاصر يقترن اسمه في ادبيات علم النفس بنظرية العلاج العقلاني العاطفي. وقد طور اليس هذه النظرية وذلك بعد ان مارس مهنة الارشاد والعلاج النفسي عقودا طويلة. وكان في البداية من اتباع نظرية التحليل النفسي التي وضع اسسها عالم النفس الشهير سيجموند فرويد. ولكن اليس سرعان ما شعر بعدم الرضا عن نظرية التحليل النفسي واهتمامها المطلق بالعمليات اللاشعورية كمحرك للسلوك الانساني. فأخذ بالبحث في نظريات علم النفس الاخرى خاصة النظرية السلوكية لعالم النفس الامريكي ب.ف. سكنر التي تؤكد ان السلوك يتشكل بفعل المتغيرات والظروف البيئية. ولكنه خرج باستنتاج مفاده ان الناس يصنعون مشكلاتهم الانفعالية والنفسية بأيديهم وذلك من خلال تبنيهم للتفكير غير العقلاني. وعلى وجه التحديد، يرى اليس ان طريقة ادراك الانسان للأحداث في حياته وليس الاحداث بحد ذاتها هي المسؤولة عن المشكلات الانفعالية والصعوبات النفسية التي يعاني منها. وإذا كان الأمر كذلك فإن بإمكان الانسان تجنب ردود الفعل الانفعالية غير التكيفية أو غير المرغوب فيها، وذلك من خلال النظر إلى الأحداث والتعامل معها بطريقة مختلفة. ولاغرابة في ذلك، فإذا كانت المعاناة الانسانية محصلة للتفكير غير العقلاني، فإن الحد من هذه المعاناة يتطلب بالضرورة التخلص من أنماط التفكير هذه واستبدالها بانماط تفكير عقلانية ومنطقية.

يرى اليس أن المشاعر والافكار والسلوك ترتبط ببعضها ارتباطا تفاعليا؛ فهناك احداث غير سارة أو غير مريحة، وهناك نتائج وهي تتمثل عادة بالانفعالات الشديدة أو الاستجابات غير الصحية مثل الشعور بالغضب وغير ذلك. والأهم من ذلك بالنسبة لاليس هو اعتقادات الانسان حول الأحداث التي تعرض لها، وهذه الاعتقادات تعمل بمثابة الحلقة الوسطى التي هي السبب الحقيقي للنتائج رغم ان معظم الناس يعتقدون ان الأحداث هي المسؤولة عن الاستجابات.

وقد استند البرت اليس في تطوير نظريته إلى المبادىء الرئيسة التالية :

* إن لدى الانسان استعدادا فطريا للتفكير العقلاني، وانماط التفكير غير العقلاني التي يتبناها بعض الناس هي نتاج الخبرة والتعلم والتأثير الثقافي.

* إن الانسان يلعب دورا مهما في تشكيل حياته النفسية وليس من المنطق أن يشعر الواحد منا بعدم الحيلة. ولما كان الأمر كذلك فالانسان مثلما هو مسؤول عن الاشياء الجيدة التي تحدث في حياته مسؤول عن مشكلاته ايضا.

* إن السلوك والعواطف والافكار عناصر مترابطة لا يمكن عزلها بل هي تتفاعل بتواصل محدثة الوضع السيكولوجي العام الذي يجد الانسان نفسه فيه.

* إن تغيير السلوك والعواطف على اهميته لا يكفي لجعل حياة الانسان اكثر سعادة واقل توترا، فالأهم من ذلك هو تغيير انماط التفكير حيث أن التفكير هو المسؤول عن كل من السلوك والمشاعر.

* ولو سئل اليس : من هو الانسان العقلاني لاجاب ببساطة: إنه الشخص الذي يستطيع تحديد اهداف حياته الشخصية ايجابيا، والذي نادرا ما يدخل في نزاعات ومشاحنات غير مرغوب فيها مع الاخرين، والذي يستمد افكاره من الادلة والحقائق وليس من الاراء الشخصية التي لا اساس لها. اما لو سئل اليس عن كيفية استبدال التفكير غير العقلاني بالتفكير العقلاني فإنه سيقول :

* يجب تفنيد الاعتقادات الخاطئة وغير المنطقية .

* يجب تغيير انماط التحدث مع الذات بحيث تصبح الألفاظ مرآة تعكس ما يحدث فعلا وليس ما نعتقد شخصيا أنه يحدث .

وقد حاول اليس في العقود الاربعة الماضية تحديد الاعتقادات الخاطئة الشائعة لدى الناس وانماط التفكير غير العقلاني التي يتبنونها وسبل التخلص منها وخلص إلى ما يلي :

* الاعتقاد الخاطىء الأول هو أن لدى الانسان حاجة مطلقة طوال الوقت للحصول على محبة الاخرين ورضاهم عن كل افعاله بخاصة الاشخاص المهمين في حياته. وإذا لم يحدث ذلك فإن على الانسان أن يشعر بالاكتئاب والتعاسة. يؤكد اليس ان التخلص من هذا الاعتقاد يتطلب الاعتراف بأن رضا الناس غاية لا تدرك. فبصرف النظر عن اداء الانسان، هناك من لا يوافقه على افعاله. وآراء الناس من حولنا ليست اكثر من مجرد آراء ولسنا بحاجة إلى التعامل معها بوصفها شرطا اساسيا لسعادتنا وتكيفنا، ولا نحن بحاجة إلى اعطائها اكثر مما تستحق من الإهتمام.

* الاعتقاد الخاطىء الثاني هو ان على الانسان أن يتمتع بكفاية تامة في كل شيء يفعله، وإذا حدث خطأ ما فإن على الانسان أن يشعر بالعجز والذنب. هذا الانسان يغض الطرف في العادة عن خصائصه الايجابية وسماته الجيدة. ان التخلص من هذا الاعتقاد غير الواقعي يتطلب الاعتراف بأن كل ابن آدم خطاء. فليس هناك انسان يتمتع بقدرات خارقة.

* الاعتقاد الخاطىء الثالث هو النظر إلى الاحداث الحياتية على انها اما بيضاء أو سوداء، والنظر اليها بمنظار واحد دون مرونة. هذه الفئة من الناس تميل إلى الاعتقاد بأنه إذا حصل شيء واحد على غير ماتشتهي فكل شيء يصبح سلبيا. وهؤلاء الاشخاص يعطون الاشياء اكثر أو أقل مما تستحق. وذلك يقودهم إلى الشعور بالعجز وعدم القدرة على السيطرة على الاحداث وانهم مسحوقون ومكبلون .

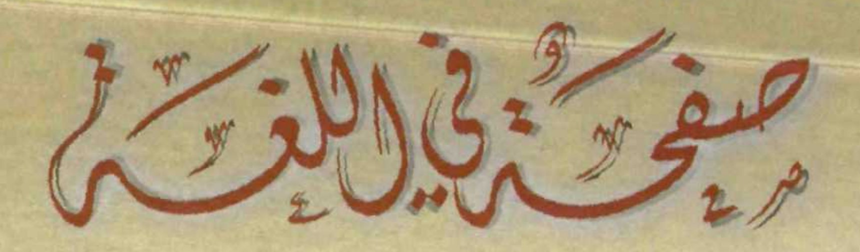
كيف نتخلص من هذا الاعتقاد الخاطىء ؟ ان من المنطق أن نشعر بالاحباط لحدث ما ولكن من غير المنطقي أن نشعر ان كل شيء في هذه الدنيا مزعج. بعبارة بسيطة، ان علينا الا نحمل الاشياء اكثر مما تحتمل .

* الاعتقاد الرابع الخاطىء الذي يتبناه اناس كثيرون يتمثل في النظر إلى الحياة على انها مرعبة ومزعجة وتعيسة إذا جرت الرياح بما لا تشتهي سفنهم أو إذا تصرف الاخرون من حولهم تصرفات سيئة. من الواضح ان التخلص من هذا النمط من انماط التفكير غير العقلاني يتطلب الاعتراف بأن الحياة فيها الجيد وفيها السيء وان الناس يفعلون ما يريدون وأننا لا نستطيع تغييرهم حسب اهوائنا. إننا لا نستطيع، مهما حاولنا، التحكم بالحياة أو بالناس من حولنا ولا بديل امامنا سوى تحمل اخطاء الاخرين.

* الاعتقاد الخامس الخاطىء الذي يسبب مشكلات عاطفية عديدة للناس هو تعاملهم مع انفسهم على انهم عديمو الحيلة وان حياتهم تسيرها ظروف خارجة عن نطاق سيطرتهم. والطريقة العقلانية للتخلص من هذا النمط في التفكير هي مواجهة المشكلات الحياتية اليومية وتحمل المسؤولية الشخصية وتنظيم الذات والاعتقاد بأن الماضي على اهميته ليس كل شيء وأننا نستطيع تغيير الحاضر وتجاوز الأحداث السابقة.

* الاعتقاد السادس الخاطىء هو ان الاشياء يجب أن تكون افضل مما هي عليه، وان لكل مشكلة حلا مثاليا، فإذا لم يتم التوصل إلى الحلول الصائبة وبسرعة فذلك امر فظيع. والطريقة الصحيحة للتخلص من هذا التفكير غير المنطقي تتمثل في التحلي بالتفكير المرن وبالتجريب وبالاتصاف بالعلمية والموضوعية وتقبل حقيقة ان العالم الذي نعيش فيه انما هو عالم احتمالات لا عالم حقائق مطلقة .

هذه هي الافكار الرئيسة التي يطرحها البرت اليس، وقد اسس مؤسسة علاجية مشهورة في امريكا وكتب عشرات الكتب والمقالات لتكون موجها ودليلا للناس للعيش العقلاني والمنطقي. وجوهر نظريته أن الصعوبات والمشكلات لا تعني طريقا غير نافذ فثمة خيارات دائما وهي في متناول يد كل انسان ■



مفاتيح المعاني

بقلم: د. صاحب أبو جناح - العراق

من مظاهر قدرة العربية على الاتساع والنمو في مجال الدلالة، وعلى الوفاء بمتطلبات التعبير على مدى تعاقب العصور وتفاوت المراحل، مفردات تتضمن صفات يراد بها المدح أو الذم، وغالبا ما يكون الاثر شديدا في المدح أو الذم عند اطلاق هذه الالفاظ، لكن هذه الالفاظ في اصولها لا تحمل شيئا من هذا، ولا تفيد مدحا ولا ذما. فقد غاب عنا المدلول الذي انحدرت عنه هذه المفردات فلا نكاد نلمحه أو نتبين له ظلا في معانيها الجديدة بيننا.

من ذلك لفظة «التهذيب» ومشتقاتها التي تشيع في حياتنا اليوم وتنصرف دلالتها الاجتماعية الى معنى الاستقامة في السلوك والخلق وخلوهما من شوائب الاذى والتجاوز على الآخرين. واستعملها الكتاب واللغويون العرب بمعنى تنقية الكلام والشعر من عوامل الركاكة والمعاظلة، وتنقية الكتب من مظاهر الاستطراد والحشو.

وأصل التهذيب كما يقول صاحب التقفية: حبّ الحنظل، كانوا يستخرجونه فينقعونه في الماء ويغسلونه غسلة بعد غسله حتى تذهب مرارته فيأكلونه، فذلك تهذيبه. أهـ ص ١٨٢.

ومن ذلك كلمة «الرشوة» بكسر الراء وفتحها وضمها، وهي تشيع في لغة العصر بصفتها ظاهرة ومحرمة دينيا ومستهجنة اجتماعيا وممنوعة قانونا. وهي مشتقة من الرشاء، وهو حبل الدلو الذي يستقى به، وجمعه أرشية. مثل كساء واكسية. قال ابو عمرو الشيباني: المرتشون الذين يأخذون ثمن الماء اذا سقوا، قال الشاعر:

كأنّ المرتشين بذي اراط　　تساقوا حين انبطت السماء

ويبدو أنها مأخوذة من الرشاء. أهـ (معجم الجيم ١/٣١٣).

فالرشوة اجر على منفعة يبذلها الماتح الذي يستقي للناس. وقد جاء في حديث موسى وشعيب عليهما السلام قوله تعالى على لسان احدى بنات شعيب تخاطب موسى عليه السلام: « إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا » (القصص/ ٢٥) لكن هذا الأجر المشروع حين اصبح امرا مرتبطا بمنفعة غير مشروعة تأتي لحساب شخص على غير وجه حق صارت امرا محرما ومسترذلا وممنوعا وفي الحديث الشريف: «لعن الله الراشي والمرتشي»، فأصبحت دلالتها بعيدة عن دلالتها الاصلية، واذا شئنا الدقة تخصصت دلالتها بمعنى الكسب غير المشروع بعد أن كانت تعني الكسب والاجر الذي يتقاضاه الساقي الذي يستقي للقوم من البئر.

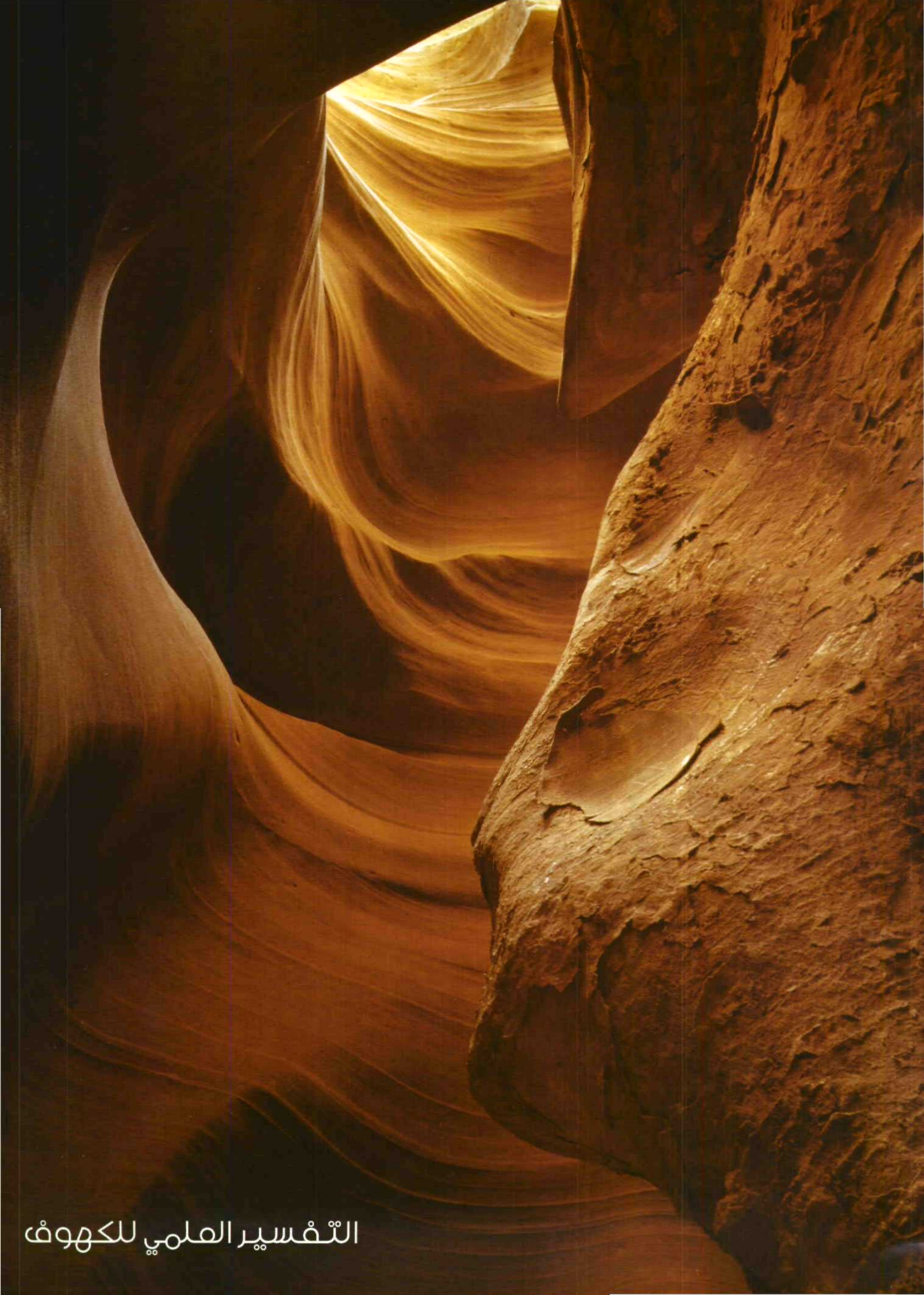
ومن ذلك كلمة «الاسلوب» التي ترتبط لدينا اليوم بفن القول او بفن العمل فنقول اسلوب ادبي واسلوب فني وهناك اساليب الإدارة والسياسة والاقتصاد ونحوها.

واصل ذلك في اللغة: الطريق، وصفّ النخيل، ثم اصبح يقال: اخذ في اساليب من القول، اي فنون منه.

ومن هذا القبيل كلمة «جرثوم» وجرثومة المعروفة لدينا اليوم، اصلها في اللغة: التراب المجتمع في اصل الشجرة. فصار اللفظ منصرفا اليوم - بعد اكتشاف الجراثيم المرضية - الى ما يتسبب في ظهور الامراض من احياء مجهرية، ولا يكاد احد يعرف اصل هذه المفردة في لغة العرب القديمة، بل نكاد نجهل ان لهذه اللفظة وجودا في لغة العرب قبل عصر اكتشاف المجهريات.

وعلى هذا السبيل كلمة «همج» التي تعني البدائية والتخلف والاذى والجهالة على مستوى الفرد او الجماعة، فيقال للجاهلين المتخلفين او من يدعون بالرعاع: همج، اي جهلاء مؤذون. واصلها في اللغة: الهمج، جمع همجة، وهي ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم والدواب واعينها ويقال: هو ضرب من البعوض. (اللسان: همج).

فالكلمة استخدمت مجازا للجهلاء المؤذين الذين يتصرفون على غير هدى كالهوام التي لايؤمن ضرها واذاها في اي حين، ونسي اصلها. ومثلها كلمة مأفون، وهي تعني الاحمق الضعيف العقل. وهي تدل على النقص. قال ابن دريد: الأَفْنُ، قلة لبن الناقة، ثم قالوا: أفن الرجل اذا كان ناقص العقل، فهو أفين ومأفون ■


التفسير العلمي للكهوف


القافلة